الخلافة الإسلامية وإمكانية عودتها قبل ظهور المهدى عليه السلام

د. سعد عبد الله عاشور (*)
د. نسيم شحدة ياسين (*)

يدور هذا البحث حول إمكانية عودة الخلافة الإسلامية قبل قيام الساعة فعـودة الخلافة الإسلامية وقيامها أمل ينشده كل مسلم غيور على إقامة شرع الله تعالى وتحكيمه في الأرض.

فالباحـثان يثبـتان بالأدلـة – القرآنـية والنبوية والواقعية – إمكانية عودة الخلافة الإسـلامية قـبل قيام الساعة ، بل وقبل ظهور المهدي عليه السلام ، ويردان على ضعاف الإيمـان والمتشـائمين الذين يعتقدون أن الخلافة بعد سقوطها عام ١٩٢٤م لن تعود ولن تقوم لها قائمة .

وقد هدف الباحثان في بحثهما تجديد وبث روح الأمل في نفوس المسلمين، وخاصة العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، وذلك ببيان الأدلة التي تؤكد عودة الخلافة الإسلامية متى قام المسلمون باستكمال أسباب النصر وتحصيل وسائله ، فالله تعالى يمنح النصر لمن يستحقه،قال تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج:٤٠) .

(*) الأستاذ المساعد – كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية – غزة
(*) الأستاذ المساعد – كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية – غزة

مقدمة :

إن الحمـد لله نحمـده ونسـتعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١) .

أما بعـد:

فمنذ أن غابت شمس الخلافة الإسلامية عن هذه الأرض عام ١٩٢٤م على يد مصطفى كمـال أتاتورك، والمسلمون يعيشون حياة بؤس وشقاء وبعدٍ عن دين الله سبحانه وتعالى، فـنجد أن العزة قد هجرتهم والكرامة سلبت منهم وأصبحوا في شتاتٍ وضعف، وقد تكالبت عليهم قوى الظلم والبغي.

وهذا دليل قاطع على أن الخلافة هي بمثابة مظلة يجد الناس تحتها تعاليم الإسلام تطبق في أسلوب عملي، يسعدون به في حياتهم، ويجتازون به إلى الآخرة .

ظلـت أمة الإسلام حصينة آمنة، منيعة مستعصية أمام أطماع أمم الكفر والطغيان طيلة الفترة الزمنية التي كان يعلوها خليفة مسلم، يسوسها بالدين، ويحكمها بشرع رب العالمين، ويـذود بقـوة السـلطان عن حرمات المسلمين وحقوقهم، ويرهب أعداءهم بالجهاد من أن تتجاسر نفوسهم على الاعتداء ..

كـان المسـلمون إلـى ذلك الوقت بخير وعزة وكرامة وهيبة، يحسب لهم الأعداء ألف حسـاب قبل أن يفكروا بأدنى اعتداء، إلى أن سقطت آخر معالم الخلافة العثمانية في أوائل هذا القرن المنصرم؛ بفعلٍ وتقصير من المسلمين أنفسهم، وبمكر رهيب اجتمعت على تدبيره وإحاكته جميع قوى الكفر والطغيان والظلم في العالم ..

وقـد اسـتطاع أعـداء الإسلام أن يبسطوا أيديهم على بلاد المسلمين وأن يسنوا القوانين التي تحكم بغير ما أنزل الله، فعاش المسلمون معيشة ضنكاً، وذاقوا من جراء ذلك

المـــر والهوان، وحال المسلمين اليوم خير دليل على هذا حيث التشتت والتشرذم والانقسام والخلافات القائمة بين الدول العربية والإسلامية على أشدها .

من هنا كان الواجب على العلماء والدعاة العاملين للإسلام أن يكون همهم الأول[1] العمل من أجل قيام خلافة راشدة تحتضن المسلمين في جميع أصقاع الأرض، على اختلاف ألوانهم ولغـــاتهم وأوطـــانهم وأجناســـهم، لتتمكن الأمة من استئناف حياتها الإسلامية، وليعود لها سلطانها وعزها بعد أن أقصيت خلافتها الراشدة فترة من الزمن.

مـــن هـــنا تأتي أهمية وضرورة إعداد هذا البحث الذي أسميناه " الخلافة الإسلامية وإمكانـــيةعودتها قـــبل ظهـــر المهدي " وبخاصة أن كثيراً من المسلمين قد أخطأوا وضلوا الطـــريق الشرعي الصحيح، فظنوا جهلاً أو خطأ أن الخلافة غابت ولن تقوم مرة أخرى إلا بظهور المهدي عليه السلام، فجاء هذا البحث ليثبت أن الخلافة كائنة بظهور المهدي عليه الســـلام ويمكـــن قـــيامها قـــبل ظهـــور المهدي إن جد المسلمون وعملوا بأسباب النصر والتمكين..!

وإذا نادينا بضرورة إعادة نظام الخلافة، فلا يظن بنا التحليق في الخيال، فقد تعلمنا من سيرة الرسول ﷺ كيف نتفاعل ونواجه الأزمات بروح مشرقة آملين في تحقيق نصر الله عز وجل بعد الأخذ بأسبابه .

يروي الإمام أحمد عن تميم الداري رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم " لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ "[2]

أهداف البحث :

يهدف الباحثان من هذه الدراسة تحقيق الأهداف التالية :

١- الرد على من يزعم بأن الخلافة لا تقوم إلا في زمن المهدي – عليه السلام – وذلك بإثبات إمكان عودتها قبل ظهوره عليه السلام .

٢- بث الأمل بالنصر القريب في نفوس المسلمين، خاصة العاملين منهم في حقل الدعوة الإسلامية .

٣- حث المسلمين على العمل لعودة الخلافة، بأن يقوم كل مسلم بواجبه تجاه هذا الأمر المهم والخطير في حياة المسلمين .

٤- بيان أهمية الخلافة ومكانتها في حياة المسلمين .

٥- إحياء الخلافة من جديد أصبح ضرورة ملحة لتجميع القوى الإسلامية المتفرقة، توطئة لمجابهة التحديات العقائدية والاقتصادية والسياسية والعسكرية .

مشكلة البحث :

تشير كثير من الآيات القرآنية ومثلها الأحاديث النبوية أن المستقبل لهذا الدين، فالدلائل والبشائر من نصوص الكتاب والسنة ، ومن واقع الحضارات المادية الآيلة للانهيار، ومن واقع الأمة الإسلامية – التي بدأت تصحو على نداء المخلصين، وتهب من رقادها الطويل لتستعيد مكانتها وصدارتها – لتؤكد أن الإسلام قادم، وأن النصر الموعود آت بإذن الله بعد استكمال أسبابه وتحصيل وسائله، فالله تعالى يمنح النصر لمن يستحقه، وأن الخلافة الإسلامية قادمة، خلافة راشدة تحتضن جميع المسلمين في جميع أصقاع الأرض، على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأوطانهم وأجناسهم، تعيش آلامهم وأحلامهم، يجدون فيها الكنف الذي يلوذون به من أخطار الأعداء المحيطة بهم من كل حدب وصوب .. قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾(غافر: ٥١)، وقال تعالى : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠) .

بالرغم من هذه النصوص الكثيرة(٣) والتي تؤكد أن المستقبل للإسلام، نجد أن بعض العاملين في مجال الدعوة لهذا الدين قد أخطأوا الفهم الشرعي الصحيح لنصوص الكتاب والسنة، فذهب بعضهم إلى أن الخلافة الإسلامية لن تكون إلا بظهور المهدي وأن الذي يكون بعد مرحلة الحكم الجبري التي نعيشها إنما هي خلافة المهدي عليه السلام .

من هؤلاء أمين محمد جمال الدين، صاحب كتاب " عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي عليه السلام " حيث قال : " إن هذه الخلافة الراشدة الأخيرة التي هي على منهاج

النبوة والتي ننتظرها هي خلافة المهدي عليه السلام ... فالذي يكون بعد مرحلة الحكم الجبري التي نعيشها إنما هي خلافة المهدي ..."(٤)

ومثله ذهب خالد عبد الواحد، في مقدمة كتابه " نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية " إذ قال : " أما حديث لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، ويا مسلم يا عبد الله ، الذي غالبا ما نتدواله ، فهو يتحدث عن مسلمين حقيقيين ، لن يتوفروا في ظل هذه الأجواء على المدى القريب ، أو يتحدّث عن خلافة إسلامية ، ومما أعلمه أن الخلافة الإسلامية ، لن تكون إلا بظهور المهدي، وخلاف ذلك لم أجد في السنة النبوية ، من الأحاديث ما يشير إلى هذه الفترة ، فهي مغيبة تقريبا، إلا من حديث هنا، أو هناك "(٥)

ولا شك أن اعتقاد أن الخلافة لا تقوم إلا في زمن المهدي – عليه السلام – اعتقاد باطل وخطير يجعل المسلمين يتواكلون على أحاديث المهدي، ويتركون العمل للإسلام انتظاراً منهم لخروج المهدي – عليه السلام – متوهمين أن عودتها غير ممكنة قبل ظهوره

يقول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني : " لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام وإقامة دولته على وجه الأرض ؛ انتظاراً منهم لخروج المهدي و نزول عيسى عليهما الصلاة والسلام ؛ يأساً منهم ؛ أو توهماً أن ذلك غير ممكن قبلهما ! فإن هذا توهم باطل ، ويأس عاطل فإن الله تعالى أو رسوله ﷺ لم يخبرا أن لا عودة للإسلام ولا سلطان له على وجه الأرض إلا في زمانهما ، فمن الجائز أن يتحقق ذلك قبلهما إذا أخذ المسلمون بالأسباب الموجبة لذلك لقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد:٧) دون ذلك الفهم الخاطئ " (٦).

ومن أجل بيان الحقيقة ، جاء هذا البحث ليثبت بالأدلة – القرآنية والنبوية والواقعية – إمكانيةعودة الخلافة الإسلامية قبل قيام الساعة ، بل وقبل ظهور المهدي عليه السلام ، ويرد على كل من يعتقد أن الخلافة بعد أفولها عام ١٩٢٤م لن تعود ولن تقوم لها قائمة .

خطة البحث :

يشتمل هذا البحث بعد هذه المُقدمة البسيطة على أربعة مباحث :

المبحث الأول : الخلافة : مفهومها وأهميتها.

المطلب الأول : تعريف الخلافة .

أولاً : الخلافة لغةً .

ثانياً : الخلافة اصطلاحاً .

المطلب الثاني : اسم الخليفة اختيار نبوي .

المطلب الثالث : أهمية الخلافة في حياة المسلمين .

المطلب الرابع : حال المسلمين بعد سقوط الخلافة.

المبحث الثاني : مراحل وأنواع الحكم كما يحدده النبي ﷺ :

١- مرحلة حكم النبوة .

٢- مرحلة الخلافة على منهاج النبوة .

٣- مرحلة الملك العاضّ أو العضوض .

٤- مرحلة الحكم الجبري .

٥- مرحلة الخلافة على منهاج النبوة .

المبحث الثالث : حكم العمل من أجل الخلافة الإسلامية :

المطلب الأول : وجوب العمل لإعادة الخلافة الإسلامية .

المطلب الثاني : الأدلة على وجوب إقامة الخليفة على المسلمين كافة.

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : السنة النبوية .

ثالثاً : إجماع الصحابة .

رابعاً : المعقول .

المبحث الرابع : الأدلة على عودة الخلافة الراشدة :

أولاً : الأدلة القرآنية على عودة الخلافة.

ثانياً : الأدلة النبوية على عودة الخلافة .

ثالثاً : الأدلة الواقعية على عودة الخلافة .

الأول : الصحوة الإسلامية وآثارها في الحياة الإسلامية .

الثاني : انهيار المعسكر الشيوعي .

الثالث : اقتراب سقوط الحضارة الغربية وحتمية انهيارها .

هذا ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم نافعاً لعبـاده المؤمنين، والحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم على سيدنا ونبينا ومعلمنا وقائدنا محمدٍ ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم .

المبحث الأول

الخلافة : مفهومها وأهميتها.

المطلب الأول : تعريف الخلافة :

أولاً : الخلافة لغةً :

لو رجعنا إلى الأصل اللغوي لكلمة خليفة لوجدنا " أن الخليفة في الاستعمال اللغوي، هو مـــن يقـــوم مقـــام الأصل الذي ذهب كما يقوم الخلف بعد السلف "(٧) والخليفة : السلطان الأعظم ويؤنث كالخليف، والجمع خلائف وخلفاء، وخَلَفَه خلافة : كان خليفته وبقي بعده .(٨) " واســـتخلف فلان من فلان : جعله مكانه ..وخلف فلان فلاناً إذا كان خليفته. يقال خلفه في قومه خلافة .

وفـــي التنزيل العزيز قال تعالى : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ (الأعراف: الآية ١٤٢) .

وخَلَفتَهُ أيضاً إذا جئت بعده، ويقال :خَلَفتُ فلاناً أَخلفه تخليفاً واستخلفته أنا جعلته خليفتي ..واستخلفه : جعله خليفته "(٩) .

ثانياً : الخلافة اصطلاحاً :

قـــال ابـــن خلـــدون : الخلافـــة " هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصـــالحهم الأخـــروية و الدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتـــبارها بمصـــالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين و سياسة الدنيا به "(١٠).

يقول الإمام الراغب الأصفهاني في مفرداته :

" والخلافة النيابة عن الغير ، إما لغيبة المنوب عنه ، وإما لموته ، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف . وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض، قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾(فاطر : ٣٩) وقال : ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾(١١) (هود : ٥٧).

ولـــيس بالضروري للخلافة أن يكون المنوب عنه ميتاً أو غير موجود . فالإمام الراغب يقول : " خلف فلان فلاناً ، قام بالأمر عنه وإما بعده " (١٢)

وعرّف د. صلاح الدين دبوسي الخليفة فقال: "هو الرئيس الأعلى للدولة الذي يلتزم بإقامة الدين وتدبير مصالح الناس اقتداءً برسول الله ﷺ (١٣).

فالخلافة هي التي يناط بها إقامة شرع الله عز وجل، وتحكيم كتابه، والقيام على شؤون المسلمين، وإصلاح أمرهم، وجهاد عدوهم.

ويطلق لفظ الخلافة ويراد به الإمامة ، وعليه درج استعمال الكلمتين لمعنى واحد .

فالإمامة لغة : مصدر من أمّ والإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين، والجمع أئمة، وإمام كل شيء قيّمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين .

أما معناها اصطلاحاً : يقول أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي(١٤) : " الإمامة : موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا "(١٥).

- أما إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني(١٦) فقد عرف الإمامة بأنها :" رياسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا مهمتها حفظ الحوزة، ورعاية الرعية، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف وكف الحيف والخيف، والإنتصاف للمظلومين من الظالمين، واستيفاء الحقوق من الممتنعين وإيفاؤها على المستحقين "(١٧)

.

- وقال التهانوي في كشافه – كشاف اصطلاحات الفنون – " الإمامة عند المتكلمين : هي خلافة الرسول عليه السلام في إقامة الدين وحفظ حوزة الإسلام بحيث يجب إتباعه على كافة الأمة والذي هو خليفته يسمى إماماً . وقولنا "يجب إتباعه "....إلخ يخرج من ينصبه الإمام من ناحية كالقاضي، ويخرج المجتهد أيضاً إذ لا يجب إتباعه على الأمة كافة بل على من قلده خاصة ويخرج الأمر بالمعروف أيضاً.

وهذا التعريف أولى من قولهم " الإمامة رياسة عامة في أمور الدين لشخص من الأشخاص "(١٨) .

مما سبق يتبين أن الخلافة في الاصطلاح الإسلامي تعني القيادة الإسلامية أو الإمامة ، ومن هنا يُعلم إن مصطلح الإمامة يرادف مصطلح الخلافة.

وممن يؤكد التماثل المعنوي بين الإمامة والخلافة العلامة ابن خلدون إذ يقول: " وإذ قد بينّا حقيقة هذا المنصب، وأنه نيابة عن صاحب الشريعة، في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة أو إمامة، والقائم به خليفة أو إمام" (١٩) .

ويذهب أبو الحسن الماوردي إلى نفس الرأي حين يُعَرف الإمامة بأنها خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا(٢٠) .

ويفسر الشيخ أبو زهرة الترادف بين اللفظين بقوله: " إن المذاهب السياسية كلها تدور حول الخلافة، وهي الإمامة الكبرى، وسمّيت خلافة لأن الذي يتولاها، ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين، يخلف النبيَّ في إدارة شؤونهم، وتسمّى الإمامة لأن الخليفة كان يسمى إماماً، ولأن طاعته واجبة، ولأن الناس كانوا يسيرون وراءه، كما يصلون وراء من يؤمهم في الصلاة "(٢١)

والملاحظ من التعاريف السابقة أن العلماء لم يفرقوا في الاستعمال بين لفظ إمام ولفظ خليفة وإنما استعملوا كلا اللفظين بمعنى واحد .

وعليه سوف لا نفرق في الاستعمال بين هذين اللفظين فنستخدم الخلافة بمعنى الإمامة والإمامة بمعنى الخلافة، وإن كنا نرى أن بين اللفظين عموم و خصوص فالإمامة تشمل ميادين أكثر من ميادين الخلافة .

ومما سبق أيضاً يستفاد " أن أصل وضع الإمامة كان خلافة عن النبي ﷺ في وظيفتين هامتين هما:

الوظيفة الأولى :

خلافة النبي ﷺ في حراسة الدين من التزييف والتغيير والتبديل فيه، فيذب عن حياض الشريعة والعقيدة، ويذود عن المسلمين ويدافع عن الديار الإسلامية .

الوظيفة الثانية :

خلافة النبي ﷺ في رعاية كل شؤون الحياة ، وهذه الوظيفة تشمل جميع المصالح الدنيوية، فيجب على الخليفة أن يسعى لتحقيق كل أمر دنيوي تحتاج إليه الرعية "(٢٢).

ويلاحظ أيضاً " أن جميع الفقهاء الذين تصدوا لتعريف الخلافة قدموا أمور الدين والعناية به وحفظه على أمور الدنيا بمعنى: جعل الثانية تابعة للأولى وبيان أن سياسة الدنيا يجب أن تكون بالدين و شرائعه و تعاليمه "(٢٣).

المطلب الثاني: اسم الخليفة اختيار نبوي :

تسمية صاحب الولاية الكبرى في المسلمين خليفة، اختيار نبوي اقتبسه الرسول ﷺ من القرآن الكريم، في خطاب الله لداود عليه السلام، قال الله عز وجل: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (سورة ص الآية :٢٦) .

وهذا الاقتباس النبوي نجده فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ " كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ"(٢٤)

وهذا الاختيار النبوي قد أخذ به المسلمون الأولون، فأطلقوا على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم اسم الخلفاء الراشدين .

ولما تولى أبو بكر رضي الله عنه قال بعض المسلمين له : يا خليفة الله : فقال لهم : لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله ﷺ حسبي ذلك(٢٥) .

ولا يعرف على وجه الدقة الوقت الذي أطلق المسلمون على أبي بكر لقب خليفة " وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته فيقال خليفة بإطلاق وخليفة رسول الله."(٢٦)

وقد اختلف العلماء في تسمية الخليفة ب" خليفة الله " .

فقد قيل : يجوز لقيامه بحقوقه في خلقه، ولقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ (الأنعام: من الآية١٦٥)

وقيل لا يجوز لأنه إنما يستخلف من يغيب أو يموت والله تعالى لا يغيب ولا يموت، وقيل لأبي بكر : يا خليفة الله، فقال: لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله ﷺ "

وعليه فإن " خليفة الله أو خليفة رسول الله سواء في المعنى المراد منهما وهو أن من يقوم على الجماعة الإسلامية ويدير شؤونها وينظم أمورها هو ذو سلطان عامل في حياة الجماعة من وراء سلطان الله الخفي الذي لا يُرى أو سلطان النبي الذي كان له في حياته ثم ارتفع بموته "(٢٧).

المطلب الثالث : أهمية الخلافة في حياة المسلمين :

تظهر أهمية الخلافة في حياة المسلمين إذا علمنا أنه لا قيام للدين وأحكامه على الوجه الأكمل إلا بها، ولا أمن ولا أمان للمسلمين ولديارهم من أعدائهم إلا بها، ولا رادع للظالمين وقاطعي الطريق إلا بها، لذا فقد أُثر عن النبي ﷺ أنه قال: " إن الله ليزع – أي ليردع – بالسلطان مالا يزع بالقرآن "(٢٨) . فالقرآن الكريم لا بد له من قوة وسلطان يحميه ويفرضه على الناس، ويرعاه ويتعاهد أحكامه وشرائعه .. فالقرآن وسيف السلطان يسيران جنباً إلى جنب يؤيد بعضهما البعض، وأيهما يتخلف عن الآخر فإن مسيرة الإسلام – لا محالة – سيعتريها الضعف والنكبات والانتكاسات.

قال ﷺ : " إنما الإمام جُنَّةٌ يُقَاتَلُ من ورائه، ويُتَقى به "(٢٩).

وعن أبي بكرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:" السلطان ظل الله في الأرض فمن أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله "(٣٠)

فالسلطان المسلم العادل ظل الله في الأرض؛ والخلافة، والسلطان، والدولة وغير ذلك من معاني الشوكة والقوة كلها تدخل كوسائل مباشرة وهامة لتطبيق أحكام الله تعالى وشرائعه في الأرض، وبه تُحفظ حرمات الدين، وتعلو راياته .

ولا شك أن الغاية الجوهرية من قيام الدولة الإسلامية هي إيجاد الجهاز السياسي الذي يحقق وحدة الأمة الإسلامية وتعاون أفرادها، ويتابع تطبيق أحكام الإسلام وتنفيذها، ومراقبة سيرها التطبيقي في شتى مجالات الحياة وهذا لا يتم إلا بنصب الخليفة أو الإمام .

المطلب الرابع : حال المسلمين بعد سقوط الخلافة :

أرسى رسول الله ﷺ دعائم دولة الإسلام في المدينة المنورة، واتسعت رقعة الدولة فأصبحت أعظم دولة عرفها التاريخ، حيث أقيمت على أسس ربانية عظيمة شهد لها القاصي والداني، وازدادت عظمةً بدخول كثير من الناس في دين الله أفواجاً وتمسكهم بمنهج رسول الله ﷺ وسير الخلفاء الراشدين المهديين على النهج النبوي في سياستهم لأمور الدولة، فكانت الخلافة الراشدة أعظم فترات التاريخ إشراقاً بعد العهد النبوي، ثم جاءت دولة " بني أمية " ثم " بني العباس " ثم " بني أيوب " وأخيراً دولة بني عثمان أو ما يسمى بالدولة العثمانية وغيرها ممن حكم بالإسلام وتحت راية القرآن وسنة رسول الله ﷺ

ومن المعلوم أن المسلمين في جميع الأوقات في هذه الدول على مر التاريخ قد مارسوا السياسة الشرعية حسب مفاهيمهم واجتهاداتهم وكل ذلك في إطار التحاكم إلى شرع الله فكان القرآن الكريم والسنة النبوية مرجعاً لهم، وحاكماً على الحاكم والمحكوم، وهادياً للجميع في التعامل مع بعضهم البعض من جهة ومع الآخرين من غير المسلمين في أرض الإسلام والسلام، وأرض الكفر والحرب التزاماً لأمر الله سبحانه وتعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(النساء:٦٥)، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾(الأحزاب:٣٦) .

ولم يطب الأمر لأعداء الإسلام في كل مرحلة من مراحل التاريخ بل كانوا يتربصون بالإسلام والمسلمين الدوائر وينتظرون لحظة الضعف التي ينقضون فيها عليهم من أجل إضعافهم وتمزيقهم وهزيمتهم بعد أن أيقنوا أن قوة المسلمين تكمن في تمسكهم بمنهج الله وسيرهم على خطى رسول الله ﷺ في إرساء دعائم دولتهم وفي سياستهم الشرعية .

فكانت - كما يعلم الجميع - المؤامرة الأولى على الإسلام والدولة الإسلامية في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رَضي الله عنه، والفتنة التي أدت إلى مقتل الخليفة عثمان بن عفان، وبذر الخلاف بين المسلمين في ذلك الوقت وما نتج عنها من قتال بين الصحابة أنفسهم في " معركة الجمل " و "معركة صفين " .. ولكن الله سلَّم فعادت اللُّحمة للمسلمين فيما بعد ..

وقد مر تاريخ الخلافة الإسلامية بكثير من المؤامرات كان آخرها المؤامرة على الخلافة العثمانية، ومن ثم إسقاطها عام ١٣٢٥هـ / ١٩٢٤م بعد سقوط آخر سلاطين بني عثمان

ومن المعلوم أن الخلافة استمرت حتى دولتهم نحو ثلاثة عشر قرناً من الزمان، وقد مرت مأساة إسقاط الخلافة الإسلامية بثلاث مراحل[٣١] :

الأولى : وكانت معاصرة لفترة الغزو الإسلامي التي صاحبت فتح الأندلس، ثم فتح القسطنطينية والتي نتج عنها اجتماعات للساسة الأوربيين لبحث " المسألة الشرقية " وتعني محاولة الوصول إلى حل لوقف المد الإسلامي على قلب أوروبا .

الثانية : فترة انحسار الفتح الإسلامي الذي أجراه الأوربيون " للمسألة الشرقية " الذي اتجه نحو تقطيع أوصال دولة الخلافة وإضعافها وبالفعل بدأ التطبق باحتلال أراضي تابعة للدولة العثمانية، وإشاعة الإنحلال والغزو العقدي والاجتماعي والفكري وإشاعة العصبية القومية داخل الدولة وغير ذلك من الضغط الذي مورس عليها من قبل الغرب الصليبي .

الثالثة : فترة الإجهاز على دولة الخلافة : وقد تم ذلك بإعداد شخصية خاصة لهذا الغرض يقوم بهذه المهمة، بحيث يكون مقبولاً لدى الجمهور، وأيضاً يكون قادراً على تنفيذ هذه المهمة الصعبة ..

وقد سبق هذه الفترة احتلال أجزاء من تركيا بعد استدراجها إلى الحرب العالمية الأولى حليفة لألمانيا، كما سبق التخطيط الدقيق للإجهاز على " الرجل المريض " أي دولة الخلافة الضعيفة، لتوزيع أسلابه وأملاكه ..

وكان نتيجة ذلك أن أعلن الرجل الذي أعدوه لمثل هذا اليوم " مصطفى كمال أتاتورك " عن إلغاء الخلافة الإسلامية بالتنسيق الكامل مع أداء الأمة، بحيث يتحقق قول الغزاة " بأن يقطع الشجرة أحد أعضائها " .

وبعد الإجهاز على الخلافة الإسلامية التي كانت بمثابة الصاعقة على الأمة بحيث قطعت أوصالها وأجهزت على مصدر القوة لدى الأمة وقضت على آخر حصنٍ من حصونها بحيث استباح الأعداء بيضة الأمة، وسيطروا على ثرواتها وخيراتها، وغزو عقول أبنائها وبناتها ... فقد قام القهر السياسي بداية في داخل تركيا متمثلاً في حملات القمع الدموي، كما قام قهر الاحتلال العسكري في سائر البلاد الإسلامية، وبخاصة في مصر والهند وغيرهما من بلاد المسلمين، وسُلبت فلسطين أرض النبوات من يد الأمة وأصبحت جرح الأمة النازف ..

وكان ذلك نتيجة طبيعة لإلغاء الخلافة الإسلامية بحيث ظهر وعد بلفور عام ١٩١٧م إلى حيِّز الوجود والتطبيق، واشتُرط على تركيا لاستقلالها عدة شروط، وهي شروط كيرزون الأربعة[٣٢]:

١- قطع كل صلة بالإسلام .
٢- إلغاء الخلافة الإسلامية .
٣- إخراج أنصار الخلافة .
٤- اتخاذ دستور علماني .

وقد استمرت الحرب على فكرة الخلافة ومن يعتنق إعادتها حتى اليوم، وتعرضت الجماعات الإسلامية التي تدعو إلى الخلافة للإبادة على أيدي الحكام العسكريين للبلاد الإسلامية، ومن جاء لحكم البلاد الإسلامية بعدهم حتى من أبناء الأمة.

كما قام عدد كبير من أبناء العرب والمسلمين ممن يطلقون على أنفسهم بالمفكرين "أصحاب الفكر المشبوه" بمحاربة فكرة الخلافة، ونقل فكرة فصل الدين عن الدولة رغم تعارضها مع الفكر الإسلامي العظيم، ومع تاريخ الأمة الناصع[٣٣].

وساهم هؤلاء مع الحكام الذين ورثوا الاستعمار في بلادهم في إبعاد فكرة الخلافة ومحاربتها، بل إبعاد الدين عن سائر شؤون الحياة تطبيقاً للعلمانية في بلادهم، وذهب كثير من حكام المسلمين إلى تقليد " مصطفى كمال " في أسلوبه ومنهجه المبرمج في الحرب على الإسلام وعلى كل من يدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية على الحياة، كما قاموا بفصل القضاء الشرعي عن القضاء المدني وتطبيق القوانين الوضعية الكافرة .

كل ذلك كان بعد تقسيم بلاد المسلمين إلى أقاليم جغرافية متعددة حسب مصالح الاستعمار، وتَحُول مقدرات المسلمين وأموالهم وثرواتهم نهباً للمستعمر الذي استغلها أسوأ استغلال واستذل المسلمين أعظم الذل، كما يحصل اليوم في فلسطين والعراق وأفغانستان بشكل مباشر، وغيرها من بلاد الإسلام بشكل غير مباشر .

ومعلوم أن المسلمين في كل مكان جاهدوا لتغيير هذه الأوضاع، وثاروا على الاستعمار والكفار في كل مكان إلى أن تحقق الاستقلال السياسي لكثير من بلاد المسلمين، ولكن الاستعمار لم يخرج من تلك البلاد إلا بعد أن ترك واقعاً مغايراً للدين والشرع يصعب تغييره إلا بجهاد طويل فقد أثَّر على جميع مناحي الحياة ووضع حراساً عليها؛ فقد وضعوا النظم والقوانين الوضعية الغربية وأوجدوا الأجيال التي رُبيت وفق الثقافة والمنهج الغربي من أجل الدفاع عن هذا الموروث الخبيث .

كما أوجدوا الحكومات التي صُنعت على عين المستعمر وفق تربيته ومناهجه وميوله، وأصبحت مصالح الاستعمار مرتبطة ببقاء هذه الحكومات، فأي تغيير أو تطبيق للشريعة يُعتبر تهديداً مباشراً للعدو ولمصالحة الخاصة .

كما خطط المستعمر لعشرات السنين من بعده بحيث يبعد المسلمين عن مناهجهم الدينية، فقد عمل على تأصيل احتلاله، وتنفيذ مآربه بحيث يستحيل على المسلمين العودة إلى مناهجهم من جديد، ووضع عقبات من الصعب إزاحتها لتكون حائلاً بين المسلمين والعودة إلى دينهم، قام بفصل التعليم المدني عن التعليم الديني وحاصر التعليم الديني من الداخل والخارج، ليتخرج أبناء المسلمين لا يفقهون في دينهم شيئاً، هذا بالإضافة إلى المناهج التعليمية التي وضعوها لتخدم أغراضهم.

كما استبدل التشريع الإسلامي والقوانين الإسلامية بدساتير وقوانين وضعية منقولة من دساتيره، وذلك بعد فصل القضاء الشرعي عن القضاء المدني – كما أشرنا سابقاً – ، ورسخ مهمة التشريع لسلطة الحاكم الفرد أو الحزب الحاكم، أو المجالس النيابية ولم تقيد سلطة التشريع بكتاب ولا سنة أو بمصادر التشريع الإسلامية وقد توضع فقرة في الدستور – من باب ذر الرماد في العيون – أن الشريعة الإسلامية مصدر من مصادر التشريع كما حصل أخيراً في العراق .

كما وضع المستعمر نظاماً اقتصادياً يقوم على أسس رأسمالية يبيح الربا، ويسيء توزيع الثروة، ويقسم الناس إلى طبقات متفاوتة، أو نظاماً اشتراكياً يحرم الفرد من أهم حرياته وغاياته، ويهدم الحافز، ويهدر الطاقات، بل يقتل الإبداع عند الفرد والجماعات

كل هذا وغيره كان نتاج الاستعمار وما قام به من تغيير لأحوال المسلمين وإبعادهم عن دينهم وعقيدتهم بغية الإبقاء عليهم تحت السيطرة.

هذا هو الواقع الذي آل إليه حال الأمة بعد سقوط الخلافة، وقد نشأ تبعاً لذلك التفكير في كيفية العمل السياسي والدعوة إلى الله في مثل هذه الأوضاع الصعبة، فضلاً عن صعوبة تغيير مجمل الأفكار التي اقتحمت واقع المسلمين – نتيجة لهذا الواقع – ولا بد من إزالتها قبل ممارسة الدعوة من أجل النجاح وغرس القيم والمبادئ الأصيلة كما وردت من النبع الصافي .

المبحث الثاني

مراحل وأنواع الحكم كما يحدده النبي ﷺ

يذكر لنا الرسول ﷺ في الحديث الصحيح المراحل التي ستمرّ بها الأمة الإسلامية، ويربط كل مرحلة بنوع الحكم الذي يحكمها، ويفرق عليه الصلاة والسلام بين الحكم الذي على منهاج النبوة وبين الحكم الذي فيه الظلم والانحراف وما تجبر الأمة على قبوله ، وذلك بأسلوب واضح ومتميز كما في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد عن حذيفة بن

اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " تكونُ النُبُوَّةُ فيكم ما شاءَ اللَّهُ أنْ تكونَ، ثُمَّ يَــرفَعُها اللَّهُ إذا شاء أنْ يَرفَعَها، ثُمَّ تَكونُ خِلافَةً عَلى مِنهاج النُبوَّة، فتَكونُ ما شاءَ اللَّهُ أنْ يكــونَ، ثُــمَّ يَــرفَعُها اللَّهُ إذا شاء أنْ يَرفَعها، ثُمَّ تَكونُ مُلكاً عاضاً، فتَكونُ ما شاءَ اللَّهُ أنْ تَكــونَ، ثُــمَّ يَــرفَعُها اللَّهُ إذا شاء أنْ يَرفَعها، ثُمَّ تَكونُ مُلكاً جَبْرِيّاً، فتَكونُ ما شاءَ اللَّهُ أن تَكونَ، ثُمَّ يَرفَعُها إذا شاءَ أنْ يَرفَعها، ثُمَّ تَكونُ خِلافَةً على مِنهاج النُبوَّة. ثُمَّ سَكتَ ".(٣٤)

قــال الهيثمي : رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات (٣٥) ويبعد حمــل الحديــث علــى عمر بن عبد العزيز لعدم وجود العضوض والجبرية بصورتها التامة قبله، وللجبرية والعضوض التي طرأت على الأمة بعده (٣٦) .

فهــذا الحديــث يبين أن الدولة المسلمة ستتعاقب عليها الأنظمة العادلة والجائرة، العضوض والجبرية ، وأن الخلافة التي تسير على منهاج النبوة لابد آتية(٣٧) .

ويُعد هذا الحديث من دلائل النبوة وصدق نبوءته صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كانت نــبوته صلى الله عليه وآله وسلم . ثم الخلفاء الراشدين. بدءاً من أبي بكر رضي الله عنه وخــتاماً بعلي رضي الله عنه. وتبع ذلك حكم بني أمية المتوارث وهو الملك العضوض حتى نهايــة حكــم العثمانيين سنة ١٩٢٤م وهو خير وأنظف من حكم ما بعده من الجمهوريات والتي هي حكم جبري غير منتخب، ومظهره تلك الانقلابات الكثيرة التي توصل أصحابها إلى الحكــم بدون رأي الأمة، وغصباً عن إرادة الشعب، دكتاتوريات بدأها " أتاتورك" في تركيا، وتتابعت في كل مكان،. ونحن نعايشها بآثامها وحقدها ضد الإسلام والمسلمين .

والذي يبدو من الواقع أن الملك العاض قد انتهى بانتهاء السلطنة العثمانية، والآن جــاء دور الملــك الجبري، فالمسلمون اليوم يعيشون مرحلة الجبرية، التي تبدو بوضوح، والتــي ستليها المرحلة الخامسة والأخيرة، التي تمثل الخلافة على منهاج النبوة. ولن تفلح الجهود التي يبذلها أعداء الإسلام في الشرق والغرب، للحؤول بين المسلمين وخلافة النبوة، ومــا المعــاهدات التــي تقيد أنظمة السوء في الديار الإسلامية مع العدو، والضغوط التي تمارســها-فــي ظل النظام العالمي الجائر الجديد – إلا محاولات يائسة لتحصين ذلك العدو، وإطالة أمده قدر المستطاع ، فالصراع لا يزال قائماً على أشده، والحرب سجال(٣٨).

ولكن دلائل اليقظة الإسلامية تبشر بأن ذلك لن يطول أبداً، وسيأتي اليوم الذي ستكون فيه الخلافــة علــى منهاج النبوة، والحياة العامة على سنن الإسلام . ولعل ذلك يكون قريباً إن شاء الله .

فتباشــير فجر الإسلام وعودة شمسه المشرقة قد لاحت بخلافةٍ على منهاج النبوة تستأصل شأفة اليهود من على وجه الأرض ليغمر السلام وتعلو راية الإسلام.

وإنــنا متفائلون أن هذا كله سيحقق قريباً بعونه تعالى وعلى أيدي الشباب، وعزائم الرجال، وجهاد العلماء، وبذل الأغنياء ..وإن غداً لناظره لقريب(٣٩) .

وفي هذا الحديث يقسم الرسول ﷺ تاريخ هذه الأمّة إلى المراحل التالية:

١- مرحلة حكم النبوة : وهي قوله ﷺ " تكونُ النُّبُوَّةُ فيكُم ما شاءَ اللَّهُ أنْ تَكونَ، ثُمَّ يَرْفَعُها اللَّـهُ إذا شـاء أنْ يَرْفَعَها " وكانت في حياته ورفعت بموته ﷺ ، واستمرت ثلاثة وعشرون عاماً.

٢- مرحلة الخلافة على منهاج النبوة: وهي قوله ﷺ : " ثُمَّ تَكونُ خِلافَةٌ على مِنهاجِ النُّبوَّةِ، فَـتَكونُ مـا شـاءَ اللّـهُ أنْ يكونَ، ثُمَّ يَرْفَعُها اللّهُ إذا شاء أنْ يَرْفَعَها " وهي حكم الخلفاء الراشــدين، وكانت من بداية استخلاف أبي بكر رضوان الله عليه وحتى مقتل علي بن أبي طالــب رضي الله عنه، ومن العلماء من أدخل فترة إمارة الحسن بن علي رضي الله عنهما سـبط رسـول الله ﷺ فـيها. فهذه ثلاثون سنة كما نصّ بذلك الحديث الصحيح بأن الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون بعها ملكاً عضوضاً.

٣- مــرحلة الملك العاضّ أو العضوض : وهي قوله ﷺ : " ثُمَّ تَكونُ مُلْكاً عاضّاً، فَتَكونُ ما شاءَ اللّهُ أنْ تَكونَ " وهو الحكم الذي فيه ظلم، وإن تفاوتت نسبة الظلم من حكم لآخر، وهي مــرحلة مــا بعد إمارة الحسن بن علي، ويدخل فيه حكم بني أمية وبني العباس والمماليك والعثمانييــن الأتــراك وغــيرهم، وحتى سقوط السلطنة العثمانية في مطلع القرن العشرين الميلادي. وهذا الحكم يشمل كل الدول التي تعاقبت على العالم الإسلامي بكافة مراحل تاريخه خلال هذه الفترة، ويُستثنى من ذلك حكم من كانت خلافته مشابهة للخلفاء الراشدين كخلافة عـبد الله بن الزبير وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما، فهُما قد عُدّا من الخلفاء الذين يلوْن أمر هذه الأمة على منهاج النبوة.

٤- مــرحلة الحكم الجبري: وهي قوله ﷺ : " ثُمَّ تَكونُ مُلْكاً جَبْرِيّاً، فَتَكونُ ما شاءَ اللّهُ أن تَكــونَ " والتــي بدأت منذ سقوط الدولة العثمانية إلى عصرنا الحاضر. فنسأل الله تعالى أن ينهيها قريباً بمنّه وفضله.

والحكــم الجبري هذا يحوي كل أنظمة الحكم التي قامت في العالم الإسلامي، سواء أكانــت حكمــاً ملكياً أو وراثياً أو حِزبياً أو حكم الكفار للمسلمين، كما حصل عقيب الحرب

العالمـــية الأولى، أو جمهورياً أو ديموقراطياً أو غيرها من أنواع الحكم التي تنازع الله عز وجل أحقية الحاكمية والتشريع.

وهـــذا لا يعنـــي خلو المرحلتين الأخيرتين من تداخل الخلافة الصحيحة، فالغالب على الأزمان والملك الجبري، ولا يمنع هذا من وجود استثناء بوجود خلافة صحيحة.

ويعنـــي هـــذا أن الخلافـــة الإسلامية وجدت مرات عديدة ، ولا يوجد ما يمنع تكرار وجودها مرة أخرى إن أخذ المسلمون بأسباب النصر .

٥- مرحلة الخلافة على منهاج النبوة: وهي قوله ﷺ : " ثُمَّ تَكونُ خِلافَةً على مِنهاجِ النُّبوَّةِ. ثُمَّ سَكَتَ " .

وهـــي مرحلة لابد لها من عمل وتحضير وتضحية في سبيل الله تعالى، ونشر العلم واتباع للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلاّ بما صلح به أولها. وســيكون الدين في بدايتها غريباً، غربته يوم بدأ في مكة بين أسيادها وعبيدها، بين قويّها وضـــعيفها، وبين رجالها ونسائها وصغارها وكبارها. ومصدر هذه المرحلة هم غرباء هذا الدين في هذا الزمان، الذين يحملونه عن وعي وإدراك وفهم وتطبيق، ويتحملون في سبيله أشـــد المصـــائب والابـــتلاءات ثابتين على وصية رسول الله ﷺ عندما قالَ: " فَعَلَيكُم بِسُنَّتي وَسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيين، عَضّوا عَلَيْها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكُم وَمُحْدَثاتِ الأُمورِ، فَإنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ "(٤٠) .

وهؤلاء الغرباء هم الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنته ﷺ من بعده كما أخبر الصادق المصـــدوق، وهم الذين يقاتلون في سبيل الله، ظاهرين على عدوهم وعلى من خالفهم ومن خذلهم، لا يضرهم ذلك حتى يأتيَ أمر الله وهم كذلك، فنسأل الله تبارك وتعالى أن يثبتنا على طريق نبيه الكريم ﷺ ومنهج صحابته رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

مما سبق نستنتج إمكانيةعودة الخلافة الإسلامية، وعليه يجب علينا أن لا ندع العمل، ولا نركـــن إلـــى أن الخلافة لن تكون إلا بمقدم المهدي عليه السلام، فالمطلوب من المسلم العمل لإعادة الخلافة الإسلامية، وإعزاز دين الله، بغض النظر عن ربط ذلك بشخص معين، فالأمر لا يعلم وقته إلا الله تعالى .

المبحث الثالث

حكم العمل من أجل الخلافة الإسلامية

المطلب الأول : وجوب العمل لإعادة الخلافة الإسلامية :

إن إقامة حكم الله تبارك وتعالى في الأرض وإقامة خلافة راشدة على منهاج النبوة واجب شرعي في أعناق المسلمين جميعاً، وكل تارك للسعي لذلك بكل ما أوتي من قوة هو آثم عند الله تبارك وتعالى، إلا إذا كان من أهل الأعذار، وهذا أمر لا خلاف عليه بين علماء الإسلام.

والواجب هنا يطال جميع من يستطيع أن يبذل جهداً من أجل هذا الهدف العام الكبير وبحسب استطاعته، كما أن الإثم يطال جميع من يملك المقدرة على بذل شيء ثم هو يقصر في بذل ما يقدر عليه، والإثم يلحق بصاحبه على قدر ما يبدر منه من تقصير وتفريط، لأن مدار التكليف قائم على المقدرة والاستطاعة .

وقد نقل الإجماع على هذا الأمر أئمة وعلماء وفقهاء كبار من أمثال إمام الحرمين الجويني رحمه الله في كتابه غياث الأمم(٤١) وابن خلدون في مقدمته المشهورة(٤٢) .

ولقد أجهد علماء الإسلام أنفسهم في بحث حكم تنصيب خليفة للمسلمين، والرأي الراجح عندهم وهو مذهب أهل السنة والجماعة أن تنصيب الإمام واجب شرعاً على الأمة، وتعتبر الأمة كلها آثمة إذا لم تقم بهذا الواجب، ولا يرتفع عنها هذا الإثم إلا بالقيام بالعمل لإيجاد خليفة أو إمام ومبايعته وتنصيبه .

قال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني : " فنصب الإمام عند الإمكان واجب ... فإذا تقرر وجوب نصب الإمام، فالذي صار إليه جماهير الأئمة أن وجوب النصب مستفاد من الشرع المنقول غير متلقى من قضايا العقول "(٤٣) .

وقال العلامة ابن خلدون : " إن نصب الإمام واجب قد عُرِفَ وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين، لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر إليه في أمورهم وكذا في كل عصر من بعد ذلك ولم تترك الناس فوضى في عصر من الأعصار واستقر ذلك إجماعاً دالاً على وجوب نصب الإمام"(٤٤)

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم : " أجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة "(٤٥)

وقال الماوردي في الأحكام السلطانية : " الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع "(٤٦) .

وقال الهيثمي في الصواعق المحرقة : " اعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب، بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله . ﷺ "(٤٧) .

وفــي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة: ٣٠). قال القرطبي فــي التفسير: " هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يُسمع له ويُطاع؛ لتجتمع به الكلمة، وتــنفذ بــه أحكام الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة، إلا ما روي عن الأصم ــ المعتزلي ــ وهو عن الشريعة أصم "(٤٨) .

أمــا الإمــام عــبد القاهر بن طاهر البغدادي فيقول: " اختلفوا في وجوب الإمامة وفي وجــوب طلــب الإمــام ونصبه : فقال الجمهور أصحابنا من المتكلمين الفقهاء مع الشيعة والخوارج وأكثر المعتزلة بوجوب الإمامة وأنها فرض واجب إقامته وواجب إتباع المنصوب له وأنه لابد للمسلمين من إمام ينفذ أحكامهم ويقيم حدودهم ويغزي جيوشهم ويزوج الأيامي ويقسم الفيء بينهم " .

ويذكــر البغدادي المخالفين لهذا الرأي قائلاً : " وخالفهم شرذمة من القدرية كأبي بكر الأصم وهشام الغوطي، فإن الأصم زعم أن الناس لو كفوا عن التظالم لاستغنوا عن الإمام، وزعم هشام أن الأمة إذا اجتمعت كلمتها على الحق احتاجت حينئذ إلى الإمام وأما إذا عصت وفجرت وقتلت الإمام لم يجب حينئذ على أهل الحق منهم إقامة إمام "(٤٩) .

والحقــيقة إن هــذا الــرأي من قلب الموازين والشطط البعيد عن الحق فكيف يكون إن اجتمعــت كلمة الأمة احتاجت إلى الإمام، أما إذا عصت وفجرت وقتلت فحينئذ لا يجب نصب الإمام، إن هذا من العجب والبعد عن الحق والصواب .

قال الإمام أحمد رضي الله عنه في رواية محمد بن عوف بن سفيان الحمصي : " الفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر الناس "(٥٠)

قلت: وأي فتنة يعيشها المسلمون ــ في هذا الزمان ــ في دينهم ومعاشهم أعظم مما هم عليه من هذا الضياع، والذل، والهوان ..؟ !

وأي ضــريبة هــذه التــي يدفعونهــا ثمناً باهظاً في دينهم وعرضهم، ومالهم وكرامتهم وعزتهم، وجميع ما يملكون .. بسبب غياب دولة الإسلام الــتي ترعاهم وترعى شؤونهم؟ !

أرخص دم يسفك على وجه الأرض ــ في هذا الزمان ــ هو دم المسلم، وأرخص عرض تنــتهك حــرماته علــى وجه الأرض هو عرض المسلم، فكل له بواكيه ومن يدافع عنه إلا المســلم فــلا بواكــي له ولا مدافع عنه في عصبة الأمم .. كلٌ له دولته التي ينتمي إليها ويركن، إلا المسلم فلا يحق له أن تكون له دولة يركن إليها ويأوي .. كل ذلك بسبب غياب الإمام العام ــ كما يقول الإمام أحمد ــ الذي يقوم بأمر المسلمين ويدافع عنهم !

لذلك فالعدو الكافر كان ولا يزال يعمل على تعميق الخلاف والفرقة بين المسلمين ليصدهم عن قيام مشروعهم الإسلامي العام الذي ينهض بهم إلى مستوى الوجود والريادة .

المطلب الثاني : الأدلة على وجوب إقامة الخليفة على المسلمين كافة :

تأمر الشريعة الإسلامية بإقامة دولة وأدلة ذلك كثيرة ، منها :

١- ورود مبادئ كثيرة تتعلق بموضوع الدولة ونظامها وشؤونها، مثل : مبدأ الشورى في الحكم ومسئولية الحاكم وحقوقه وواجباته ، وهذه النصوص المتعلقة بشؤون الحكم واجبة التطبيق والتنفيذ، لأن الوحي ما نزل بها لتقرأ وتنبذ ، ولكن لتقرأ وتنفذ ، قال تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى:٣٨) وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾(النساء:٥٩) وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ (النساء:٥٨) .

٢- أن في الشريعة الإسلامية مجموعة من الأحكام لا يمكن تنفيذها من غير دولة ، مثل أحكام العقوبات، كالقصاص والسرقة ومعاقبة الذين يسعون في الأرض فساداً ، وتضمن القرآن كذلك أحكاماً مالية تتعلق بالنفقة الواجبة بين الأقارب وقسمة الميراث وجمع الزكاة وتوزيعها على أصحابها ، ولا يتصور أن تكون هذه الأحكام ملزمة من تجب عليهم ، إلا إذا كان ثمة سلطة تلزمهم جبراً إذا امتنعوا من أداء ما عليهم من حقوق واجبة([٥١]) .

٣- الجهاد والأمر بقتال المشركين والمرتدين والمعتدين على حرمات الإسلام والمسلمين والدفاع عن حياض الأمة، وهذا غير متصور إنجازه بشكله الناجح بدون دولة الإسلام التي تُعد العدة وتجهز المجاهدين وتدعمهم وتجني ثمار هذا الجهاد .

ولا يتصور دولة بدون إمام عام يجمعهم على الحق، وقد دلَّ على وجوب إقامة الخليفة على المسلمين كافة: الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والعقل.

أولاً : القرآن الكريم :

أما القرآن الكريم ، فإن الله تعالى أمر الرسول ﷺ أن يحكم بين المسلمين بما أنزل الله، وكان أمره له بشكل جازم.

١- قال تعالى مخاطباً الرسول عليه الصلاة والسلام:﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾(المائدة:٤٨) .

وقال: ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (المائدة:٤٩) .

وخطاب الرسول خطاب لأمته ما لم يرد دليل يخصصه، وهنا الدليل مفقود، فيكون خطاباً للمسلمين بإقامة الحكم. ولا يعني إقامة الخليفة إلاّ إقامة الحكم والسلطان.

أضف إلى ذلك أن الله تعالى فرض على المسلمين طاعة أولي الأمر، أي الحاكم، مما يدل على وجوب وجود ولي الأمر على المسلمين. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾(النساء:٥٩) ولا يأمر الله بطاعة من لا وجود له. فدل على أن إيجاد ولي الأمر واجب.

فالله تعالى حين أمر بطاعة ولي الأمر فإنّه يكون قد أمر بإيجاده. فإن وجود ولي الأمر يترتب عليه إقامة الحكم الشرعي، وترك إيجاده يترتب عليه تضييع الحكم الشرعي، فيكون إيجاده واجباً لما يترتب على عدم إيجاده من حُرمة، وهي تضييع الحكم الشرعي.

٢- قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ .. ﴾(الحديد:٢٥)، فهذه الآية تبين مهمة الرسل ومن جاء بعدهم من أتباعهم أن يقيموا العدل بين الناس، وهذا لا يتأتى إلا بتنصيب الإمام الذي يقيم فيهم العدل ويفصل في الأمور عند الاختلاف، ويقوم بالإشراف على تطبيق الأحكام الشرعية، فهي تحتاج إلى من يطبقها ويشرف على تنفيذها، ويراقب نتائج وآثار هذا التطبيق، فهي إذا محتاجة إلى سلطة حاكمة، وهذه السلطة لابد لها من رأس يرأسها وهو الأمير والإمام أو الخليفة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ساق هذه الآية : " ولهذا أمر النبي ﷺ أمته بتولية ولاة الأمور عليهم، وأمر ولاة الأمور أن يردوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، وأمرهم بطاعة ولاة الأمور في طاعة الله تعالى "(٥٢) .

ثانياً : السنة النبوية

وأما السنّة فقد روى مسلم عن طريق نافع قال: قال لي ابن عمر رضي الله عنه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية "(٥٣) . فالنبي ﷺ فرض على كل مسلم أن تكون في عنقه بيعة، ووصف من يموت وليس في عنقه بيعة بأنه مات ميتة جاهلية. والبيعة لا تكون إلا للخليفة ليس غير. وقد أوجب الرسول ﷺ على كل مسلم أن تكون في عنقه بيعة لخليفة، ولم يوجب أن يبايع كل مسلم الخليفة فالواجب هو وجود بيعة في عنق كل مسلم، أي وجود خليفة يستحق في عنق كل مسلم بيعة بوجوده فوجود الخليفة هو الذي يوجد في عنق كل مسلم بيعة سواء بايع بالفعل أم لم يبايع، ولهذا كان الحديث دليلاً

على وجوب نصب الخليفة وليس دليلاً على وجوب أن يبايع كل فرد الخليفة. لأن الذي ذمّه الرسول هو خلو عنق المسلم من بيعة حتى يموت، ولم يذم عدم البيعة. وروى مسلم عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: " إنما الإمام جُنة يُقاتَل من ورائه ويُتّقى به "(٥٤)

وروى مسلم عن أبي حازم قال: قاعدتُ أبا هريرة رضي الله عنه خمس سنين فسمعته يحدث عن النبي ﷺ قال: " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم "(٥٥) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: " من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه ، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية "(٥٦) .

فهذه الأحاديث فيها إخبار من الرسول بأنه سيلي المسلمين ولاة ، وفيها وصف للخليفة بأنه جُنة أي وقاية. فوصف الرسول بأن الإمام جنة هو إخبار عن فوائد وجود الإمام فهو طلب، لأن الإخبار من الله ومن الرسول إن كان يتضمن الذم فهو طلب ترك، أي نهي، وإن كان يتضمن المدح فهو طلب فعل، فإن كان الفعل المطلوب يترتب على فعله إقامة الحكم الشرعي، أو يترتب على تركه تضييعه، كان ذلك الطلب جازماً.

وفي هذه الأحاديث أيضاً أن الذين يسوسون المسلمين هم الخلفاء، وهو يعني طلب إقامتهم ، وفيها تحريم أن يخرج المسلم من السلطان، وهذا يعني أن إقامة المسلم سلطاناً، أي حكماً له أمر واجب. على أن الرسول ﷺ أمر بطاعة الخلفاء، وبقتال من ينازعهم في خلافتهم، وهذا يعني أمراً بإقامة خليفة، والمحافظة على خلافته بقتال كل من ينازعه. فقد روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: " ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر "(٥٧) . فالأمر بطاعة الإمام أمر بإقامته، والأمر بقتال من ينازعه قرينة على الجزم في دوام إيجاده خليفة واحداً.

ثالثاً : إجماع الصحابة رضي الله عنهم :

وأما إجماع الصحابة فإنهم رضوان الله عليهم أجمعوا على لزوم إقامة خليفة لرسول الله ﷺ بعد موته ، وأجمعوا على إقامة خليفة لأبي بكر، ثم لعمر، ثم لعثمان – رضي الله عنهم جميعاً – بعد وفاة كل منهم.

وقد ظهر تأكيد إجماع الصحابة على إقامة خليفة من تأخيرهم دفن رسول الله ﷺ عقب وفاته واشتغالهم بنصب خليفة له، مع أن دفن الميت عقب وفاته فرض، ويحرم على من يجب عليهم الاشتغال في تجهيزه ودفنه الاشتغال في شيء غيره حتى يتم دفنه. والصحابة الذين يجب عليهم الاشتغال في تجهيز الرسول ودفنه اشتغل قسم منهم بنصب الخليفة عن الاشتغال بدفن الرسول، وسكت قسم منهم عن هذا الاشتغال، وشاركوا في تأخير الدفن ليلتين مع قدرتهم على الإنكار، وقدرتهم على الدفن، فكان ذلك إجماعاً على الاشتغال بنصب الخليفة عن دفن الميت ، ولا يكون ذلك إلاّ إذا كان نصب الخليفة أوجب من دفن الميت.

وأيضاً فإن الصحابة كلهم أجمعوا طوال أيام حياتهم على وجوب نصب الخليفة ، ومع اختلافهم على الشخص الذي ينتخب خليفة فإنهم لم يختلفوا مطلقاً على إقامة خليفة لا عند وفاة رسول الله، ولا عند وفاة أي خليفة من الخلفاء الراشدين، فكان إجماع الصحابة دليلاً صريحاً وقوياً على وجوب نصب الخليفة .

على أن إقامة الدين وتنفيذ أحكام الشرع في جميع شؤون الحياة الدنيا والأخرى فرض على المسلمين بالدليل القطعي الثبوت القطعي الدلالة، ولا يمكن أن يتم ذلك إلاّ بحاكم ذي سلطان. والقاعدة الشرعية (إن ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب) فكان نصب الخليفة فرضاً من هذه الجهة أيضاً.

رابعاً : المعقول :

إن الإنسان لا يستطيع أن يعيش وحيداً مستقلاً عن أخيه الإنسان فهو مدني بطبعه – كما هو معلوم – بل لا يستطيع أن يعيش مع الناس حتى تستقيم أمور حياته وتتحقق مصالحه، ونتيجة لمخالطة الناس الآخرين فقد تتعارض مصالحهم مع مصالحه، ويحدث الاحتكاك بينه وبينهم فيحصل التنازع... وهذا يجعل وجوب وجود الأمير حتمية لازمة يختصم الناس إليه ويرتضونه ليحكم في منازعاتهم وخصوماتهم، ومن هنا كان تنصيب الإمام أو الخليفة أمراً يوجبه العقل كما أوجبه الشرع للمحافظة على حقوق الناس وضمان استمرار الحياة في مجتمعاتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وكل بني آدم لا تتم مصالحهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالإجتماع والتناصر، فالتعاون والتناصر على جلب جلب منافعهم والتناصر لدفع مضارهم ولهذا يقال : الإنسان مدني بالطبع، فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة وأمور يجتنبونها، والمناهي عن تلك المفاسد فجميع بني آدم لابد لهم من طاعة

آمر وناه، فمن لم يكن من أهل الكتب الإلهية، ولا من أهل دين فإنهم يطيعون ملوكهم فيما يرون أنه يعود بمصالح دنياهم مصيبين تارة ومخطئين أخرى "(٥٨) .

فهذه الأدلة صريحة بأن إقامة الخليفة ليقيم أحكام الإسلام أمراً لا شبهة في ثبوته في نصـوص الشـرع الصحيحة ، فتنصيب الإمام واجب شرعاً على الأمة، وتعتبر الأمة كلها آثمــة إذا لــم تقــم بهذا الواجب، ولا يرتفع عنها هذا الإثم إلا بالقيام لإيجاد خليفة أو إمام ومبايعته وتنصيبه .

ونخلص مما سبق بما يأتي :

١- أن نصب الإمام واجب شرعاً وأن هذا هو ما أجمعت عليه الأمة في عصورها وأزمانها المختلفة، ولا تعويل على رأي من شذ عن هذا الإجماع .

فقــد ذكر الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً . . . ﴾(البقرة:٣٠). قال : " هذه الآية أصل في نصب الإمام وخليفته يسمع له ويطاع لتجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الخليفة "(٥٩) .

٢- أن الإمامــة يعرف وجوبها بالعقل والشرع معاً حيث أن الشريعة ما كانت لتتعارض مع العقل السليم في أي مسألة كانت، خاصة إن بَعُدَ العقلُ عن الأهواء والنزوات .

٣- ضــرورة نصــب الإمام حيث إن مقصود الشارع فيما شرع من المعاملات والمناكحات والجهاد والحدود والقاصات وإظهار شعار الشرع في الأعياد والجُمُعات إنما هو مصالح عــائدة علــى الخلق معاشاً ومعاداً، وذلك لا يتم إلا بأن يكون من قبل الشارع يرجعون إليه فيما يَعِنُ لهم "(٦٠) .

المبحث الرابع

الأدلة على عودة الخلافة الراشدة

دلت الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة الصحيحة على عودة الخلافة الإسلامية قبل قيام الساعة وقبل ظهور المهدي – عليه السلام – ، بل إن الأدلة تؤكد أن عودتها قد أزفت، وقد لاح بريقها .

أولاً : الأدلة القرآنية على عودة الخلافة :

وهي أكثر كثيرة جداً، وسنقتطف منها :

١- قوله الله تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور:٥٥) .

فوعد الاستخلاف في الأرض مرهون بالإيمان والعمل الصالح، والتزام منهج الله ..

قال ابن جرير : " يقول تعالى ذكره : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ﴾بالله ﴿ مِنكُمْ ﴾ أيها الناس ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ يقول : وأطاعوا الله ورسوله فيما أمره ونهاه ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ يقول : ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها، وساستها.."(٦١) .

قال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ : " تقديره : وعدهم الله، وأقسم ليستخلفنهم، أو نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم، فتُلُقِّي بما يُتَلَقَّى به القسم، كأنه قيل: أقسم الله ليستخلفنهم .."(٦٢) .

فهل بعد هذا من تأكيد بتحقق هذا الوعد الإلهي ؟ومن أصدق من الله حديثاً ؟ ..

ولكن هل تحقق هذا الوعد مرة ولن يتحقق مرة أخرى ؟ أم أنه تحقق ، وسيبقى متحققاً مرة تلو أخرى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؟

قال سيد قطب : " لقد تحقق وعد الله مرة، وظل متحققاً وواقعاً ما قام المسلمون على شرط الله ﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ (النور:٥٥) لا من الآلهة، ولا من الشهوات، ويؤمنون – من الإيمان – ويعملون صالحاً .

ووعد الله مذخور لكل من يقوم على الشرط من هذه الأمة إلى يوم القيامة، إنما يبطئ النصر والاستخلاف والتمكين والأمن لتخلف شرط الله في جانب من جوانبه الفسيحة، أو في تكليف من تكاليفه الضخمة، حتى إذا انتفعت الأمة بالبلاء، وجازت الابتلاء، وخافت فطلبت الأمن، وذلت فطلبت العزة، وتخلفت فطلبت الاستخلاف، كل ذلك بوسائله التي أرادها الله، وبشروطه التي قررها الله، تحقق وعد الله الذي لا يتخلف، ولا تقف في طريقه قوة من قوى الأرض جميعاً(٦٣) .

٢- ويقول الله سبحانه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: ٤٠-٤١) .

التمكين في الأرض مرهون بمناصرة الله، والتزام منهجه .

٣- ويقول الله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(محمد:٧)

الانتصار في المعارك وتثبيت الأقدام .. مرهون بمناصرة الله ، والتزام منهجه ..

٤- ويقول الله سبحانه في سورة الروم : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(الروم:٤٧)

الأنتصار هنا مرهون بالإيمان الراسخ، والالتزام الكامل ..

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾(غافر:٥١)

وقال تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(المجادلة:٢١) .

٥- وقال تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة:٣٣).

فهـذه الآيـة الكـريمة تبشرنا بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديـان كلها، يقول سيد قطب " يعلن اللّه سبحانه قضاءه بظهور دين الحق الذي أرسل به رسـوله علـى "الدين" كله بهذا المدلول الشامل العام ...ولقد تحقق هذا مرة على يد رسول اللّـه ﷺ وخلفائه ومن جاء بعدهم فترة طويلة من الزمان . وكان دين الحق أظهر وأغلب ؛ وكانت الأديان التي لا تخلص فيها الدينونة للّه تخاف وترجف ! ثم تخلى أصحاب دين الحق عـنه؛ خطـوة فخطوة بفعل عوامل داخلة في تركيب المجتمعات الإسلامية من ناحية وبفعل الحـرب الطويلـة المدى ، المنوعة الأساليب , التي أعلنها عليه أعداؤه من الوثنيين وأهل الكتاب سواء . .

ولكـن هذه ليست نهاية المطاف . . إن وعد اللّه قائم ، ينتظر العصبة المسلمة ، التي تحمل الراية وتمضي ، مبتدئة من نقطة البدء ، التي بدأت منها خطوات رسول اللّه ﷺ وهو يحمل دين الحق ويتحرك بنور اللّه "(٦٤).

فمـا يظـنه بعـض الناس أن الخلافة قد تحققت في عهده ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين ،وأنها لا تتحقق بعدهم، خطأ واضح، وجهل عظيم، فالذي تحقق إنما هو جـزء من هذا الوعد الصادق ، كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله : [لا يذهب الليل والنهار حتـى تعبد اللات والعزى . قالت عائشة : يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة:٣٣) أن ذلك تاماً . قال : إنه سيـكون من ذلك ما شاء الله] .. الحديث(٦٥).

وعلـــيه فنحن واثقون أن الله سيعلي دينه على سائر الأديان، بالحجة والبرهان، والسيف والســنان. وإن كــره المشــركون ذلك، وإن مكروا مكرهم، فإن المكر السيئ، لا يضر إلا صاحبه. فوعد اللّه، لا بد أن ينجزه، وما ضمنه، لابد أن يقوم به .

فهذه الآيات وغيرها تبشر المؤمنين في كل زمان ومكان بالنصر إذا كانوا مؤمنين حقاً، ومسلمين صدقاً، وملتزمين بالدين الذي أنزله الله، ومنفذين للمنهج الذي شرعه الله ..والله سبحانه لا يخلف الميعاد .

ثانياً : الأدلة النبوية على عودة الخلافة :

هــنا الأحاديث الكثيرة التي تبشر بالنصر والاستخلاف وظهور الدين وانتشاره...

وقد بدأت بوادر ذلك تظهر وبوارقه تلوح، وهي كثيرة متضافرة أُشير هنا إلى بعضها :

أ- الأدلة النبوية العامة المطلقة بنصرة الإسلام :

حدث الرسول ﷺ أصحابه أحاديث تشتمل على أخبار ستحدث في مستقبل الأيام، بعضها قد تحقق، وبعضها الآخر لم يأت زمان تحققه، فمما يتعلق بالحكم والإمارات والخلافة ما يلي :

١- روى الإمام أحمد والترمذي وأبو داود عن سفينة رضي الله عنه، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقــول: "الْخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ عَامًا ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ الْمُلْكُ " قَالَ سَفِينَةُ أَمْسِكْ خِلَافَةَ أَبِي بَكْــرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَتَيْنِ وَخِلَافَةَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَشْرَ سِنِينَ وَخِلَافَةَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اثْنَيْ عَشْرَ سَنَةً وَخِلَافَةَ عَلِيٍّ سِتَّ سِنِينَ "(٦٦) (أي : فمجموعها ثلاثون).

هذا الحديث قد تحقق فعلاً، وبعد الثلاثين تحول الحكم ملكاً، كما قال الرسول ﷺ.

٢- روى مســلم وأحمد وأصحاب السنن إلا النسائي عن النبي ﷺ أنه قال: " إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا"(٦٧)

وفــي الحديث الذي رواه الإمام أحمد :" يَقُولُ لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ "(٦٨).

فهــذان الحديثان من أجمع ما أخبر به صلى الله علية سلم ، فهما يؤكدان حتمية رجــوع الإســلام إلى مركز الريادة، وموضع القيادة، ومقام السيادة .. فيخبر ﷺ في هذين الحديثين أنه لن يبقَ مكان تشرق عليه الشمس ولن يبقَ مكان يبلغه الليل والنهار إلا دخله هــذا الديــن، ولــن يبقَ بيت من طين أو بيت من شعر أو وبرٍ إلا دخله هذا الدين، إن ذاك الأعرابي الذي ضرب قبته في فلاة بعيدة لابد أن يدخل بيته وخلاءه هذا الدين، بعز عزيز أو بــذل ذلــيل، عزًّا يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر ، إنها إرادة الله أكبر من إرادة

البشر، وقوة أكبر من قوة البشر، ومهما تآمر الأعداء فلابد أن يتحقق وعد النبي ﷺ ، ولابد من أن يتم إظهار هذا الدين .

٣- ومنها ما أشار إليه النبي ﷺ من أنه لابد أن تبقى طائفة من أمته على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، روى الإمام مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " (٦٩)

وبلفظ آخر : " لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ (٧٠)

وورد بــروايات أخــرى غير هذه الألفاظ، فهذه الأحاديث تدل دلالة قاطعة على وجود طائفة من المؤمنين مخلصة نقية تعمل لإعادة الخلافة الراشدة، ترتفع بدينها من شاهق إلى شــاهق، لا تضــعف إمــام المحن، ولا تتهاوى إمام الفتن، لا تحرفها الهجمات عن خطها المستقيم، ولا يثنيها الاعتقال والتعذيب عن السير على الطريق القويم، طريق رسول الله ﷺ

كل ذلك يبين أن الخلافة قد آن أوانها واقترب بل حل زمانها وأن هجمات أولئك فاشلة وعروشهم زائلة، وكيدهم سوف يبور ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

٤- وروى الإمــام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ قَالَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ."(٧١)

وهذا حديث صحيح، يقوي صحته الواقع الذي نعيشه اليوم، فعلى الرغم من الإجراءات المشــددة التي تمارسها قوات الاحتلال للحؤول دون قيام المجاهدين الفلسطينيين بالعمليات الاستشهادية في القدس وجوارها، فضلاً عن الجهود التي تبذلها السلطة الفلسطينية في هذا الصــدد، إلا أن هذه العمليات لا تزال مستمرة، لا شيء يستطيع أن يوقف عجلتها، مصداقاً لقول النبي ﷺ الذي ذكرناه آنفاً(٧٢) .

٥- وروى الإمام أحمد والبزار عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " بَيْــنَا أَنَــا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ"(٧٣) .

وروى أحمد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : " طُوبَى لِلشَّامِ طُوبَى لِلشَّامِ قُلْتُ مَا بَالُ الشَّامِ قَالَ الْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَجْنِحَتِهَا عَلَى الشَّامِ "(٧٤)

مـن خلال هذه الأحاديث الصحيحة يتبين أن ساحة الجهاد في إقامة دولة الإسلام هـي بلاد الشام، وأكناف بيت المقدس ...وهذه بشارة أخرى من رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه أن الإسلام لا بد أن يحكم، وأن فلسطين لا بد أن تتحرر، وأن الدولة الإسلامية لابد أن تعود ..وها هي ذي الظواهر تلوح بالأفق تبشر بنصر قريب بإذنه تعالى .

٦- وقد أخبر الرسول ﷺ أن دار الخلافة تكون في بيت المقدس في فلسطين المباركة وذلك فـي الحديـث الذي رواه الإمام أحمد والحاكم وأبو داود عن ابن حوالة رضي الله عنه أن النبـي ﷺ وضع يده الشريفة على رأسه أو هامته وقال " يا بن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلـت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابيا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك "(٧٥)

فحسـبنا بشـارة أن " الأرض المقدسـة " فلسطين، ستكون مركزاً للخلافة الإسلامية الراشدة .

٧- ويخـبر ﷺ أن جـنود الإسـلام ستصـل وسـط معقـل النصـرانية وستحرر روما والقسـطنطينية، تلـك الـبلاد التـي يصـدَّر منها الحقد على هذه الأمة والتي تصدر منها إرساليات التبشير، وأصبحت وكر التآمر على هذه الأمة ، إنها ليست خيالات وليست أماني بـل هـي وعد صادق من المعصوم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم:٤) .

روى الدارمـي وأحمد وابن أبي شيبة ..عن أبي قبيل قال : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أم رومية ؟(٧٦) فدعى عبد الله بصندوق لـه حلـق، قـال فأخرج كتاباً، فقال عبد الله : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولاً ؟ فقال مدينة هرقل " يعني القسطنطينية ".

وقـد تحقـق الفتح الأول على يد الخليفة العثماني " محمد الفاتح " رحمه الله عام ١٤٥٣م، أي بعـد ٨٠٠سـنة تقريباً من إخبار النبي ﷺ، وسيتحقق الفتح الثاني لا محالة بإذنه تعالى، ويسألونك متى هو؟ فقل عسى أن يكون قريباً ..

وهـذا الحديث يدل على أن هذا الدين لا بد أن ينتصر وأن هذا الإسلام لا بد أن ينتشر، وأن المسـلمين سيخوضون لا محالة معارك مع أعدائهم على جبهات متعددة، وأنهم سيخرجون منها مكللين بأكاليل النصر المؤزر، والفتح المبين !

٨- وروى الإمامـان مسـلم وأحمـد عن النبي ﷺ أنه قال :" لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْـلِمُونَ الْـيَهُودَ فَيَقْتُلَهُمْ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ وَرَاءَ الْحَجَرِ أَوْ الشَّجَرَةِ فَيَقُولُ

الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ ".(٧٧)

إننا ونحن نقف أمام هذا الحديث الشريف ، نعتقد اعتقاداً جازماً، لا شك فيه أن الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام أخبر أن اليهود يبلغون في زمن من الأزمان الذروة في القوة والسيطرة، وأنهم سيجتمعون في مكان واحد، ثم يتسلط عليهم المسلمون، ويضعون فيهم السيف، ويناديهم كل شيء حتى الحجر والشجر..

إن كثيراً من المسلمين يخطئون - في رأينا - في فهم النصوص، فيظنون أن دولة اليهود مستمرة حتى قبيل الساعة إلى أن ينزل المسيح عليه السلام، وهذا خطأ ووهم .

فالنصوص تذكر أنه عند نزول المسيح عليه السلام تكون القدس عاصمة الخلافة الإسلامية، واليهود الذين يُقتَلون وقتذاك، والذين يدل عليهم الشجر والحجر بشكل مُعْجِز هم الذين سيقدمون مع المسيح الدجال عليه لعنة الله . وهذا يشير إلى أن الدولة اليهودية الحاضرة ستُصفَى وتنتهي نهائياً، ذلك وعد الله سبحانه:﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾(الاسراء:٨) إن عدتم بالإفساد عدنا عليكم بالتسليط، وهاهم عادوا وسيعود الله عليهم بالتسليط حين يوجد جند الله (٧٨)

وهاهم الآن يجتمعون في فلسطين، وسيكون هلاكهم بعونه تعالى على أيدي المؤمنين الصادقين الآمرين بالمعروف، والناهيين عن المنكر، والحافظين لحدود الله ..

هذه المعجزة كما تحققت أوائلها في سيل التجمع الذي تصطنعه اليوم إسرائيل فسيتحقق أواخرها بإذنه تعالى في حرب قادمة، يقود جحافلها عباد مؤمنون، ومسلمون صادقون .. سوف يعلم العالم نبأها بعد حين ..

ب- الأدلة النبوية على عودة الخلافة قبل ظهور المهدي عليه السلام :

١- من أقوى الأدلة وأوضح هذه المبشرات الحديث الذي يرويه النعمان بن بشير - رضي الله عنه- قال : كنا قعوداً في المسجد مع رسول الله - ﷺ - وكان بشير رجلاً يطف حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال : يا بشير بن سعد أتحفظ حديث رسول الله - ﷺ - في الأمراء؟ فقال حذيفة : أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة : قال رسول الله - ﷺ - :: " تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا(٧٩) فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا

جَـبْرِيَّةً(٨٠) فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ سَكَتَ "(٨١) (٨٢) .

٢- ومــن الأدلــة القوية – أيضاً – والتي تدل دلالة ظاهرة على عودة الخلافة قبل ظهور المهــدي – عليه السلام – قول النبي ﷺ : " يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل مــن أهل المدينة هاربا إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق ... "(٨٣) .

فالنبي ﷺ يخبر بأن ظهور المهدي – عليه السلام – يكون عقب موت خليفة للمسلمين، مما يدل على أن الخلافة تكون موجودة وقائمة قبل ظهوره .

ثالثاً : الأدلة الواقعية على عودة الخلافة :

وهي على أنواع :

الأول : الصحوة الإسلامية وآثارها في الحياة الإسلامية :

أول البشـــائر الواقعـية الدالة على عودة الخلافة الإسلامية ظهور الصحوة الإسلامية، التـــي أعـــادت للأمة الثقة بالإسلام، والرجاء في غده، وقد أقلقت أعداء الإسلام في الداخل والخـــارج، وهي جديرة أن تقود الأمة إلى مواطن النصر، إذا قدر الله لها أن يتولى زمامها المرشدون الراشدون، من أولي الأيدي والأبصار، الذين آتاهم الله الفقه في دين الله وسننه والحكمة في النظر والعمل ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (البقرة:٢٦٩)

وتمـــثل الصـــحوة الإســـلامية خطاً بارزاً من خطوط الحاضر، وهي كذلك أبرز خطوط المســـتقبل- إن شـــاء الله – يدل ذلك على أن الأعداء فعلوا كل ما في وسعهم للقضاء على الإســـلام، مـــن غـــزو عسكري، وضغط سياسي واقتصادي، وغزو فكري، وإثارة للنعرات القومية والوطنية لتفتيت ووحدة المسلمين وتقطيع أوصالهم، وتربية أجيال من المسلمين لا تعـــرف شيئاً عن الإسلام إلا الشبهات التي يثيرها المبشرون والمستشرقون وتلاميذهم ممن يطلق عليهم" المفكرون المسلمون ".

ثـــم كانـــت المفاجـــأة لهـــم- وللعالم كله – بعد هذا الجهد المبذول كله هي" الصحوة الإســـلامية "، لذلـــك فهـــي قـــدر الله الغالب ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف:٢١)(٨٤) .

ومن صور الصحوة المباركة ومظاهرها ما يلي :

١- الرغبة في الإسلام أصبحت تياراً ذاتياً عند الشباب لا يتعلق بجماعة معينة، بل لا يتعلق أحياناً بأي جماعة على الإطلاق .

٢- اكتساح الكتاب الإسلامي الأسواق، وكساد كتب الأدب الرخيص والشعر الماجن، فقد أصبح الكتاب الإسلامي أكثر الكتب رواجاً في الأسواق ([٨٥]) .

٣- لقد أصبحت مكة قبلة الشباب فعلاً – عدا عن الصلاة – فرحلاتهم وقضاء أوقات العطل الرسمية تكون عمرة إلى بيت الله الحرام ، والدعاء عند الحجر الأسود ، وزيارة المسجد النبوي وقبر النبي ﷺ .

٤- تحول كثير ممن ينتمون إلى الأحزاب القومية والعلمانية والشيوعية إلى الحركة الإسلامية .

٥- سماع الأذان يدوي " الله أكبر " في كل الأوقات – ظهراً أو عصراً في كل مكان ، في أروقة أي كلية في الجامعات ، أو مستشفى من المستشفيات، أو غيرها من الأماكن .

٦- مراعاة الناس المظاهر الإسلامية – الشعائر الإسلامية – والأحكام الشرعية في الأفراح والأحكام والأحزان،الوليمة، العقيقة، الأضاحي، اللحية، عزل الرجال في حفلات الأفراح، الامتناع عن تقديم الدخان في المآتم والأفراح .

٧- تحري الحلال والحرم في المأكولات المستوردة والمعلبات والذبائح، والتدقيق في خلو الأطعمة من شحم الخنزير والكحول .

٨- انتشار ورواج الشريط الإسلامي (أشرطة القرآن الكريم، والندوات والخطب الإسلامية، والنشيد الإسلامي) وغيرها .

٩- كثرة المساجد وامتلائها بالمصلين والمصليات، وخصوصاً من الشباب، وازدحام مواسم الحج والعمرة بهم ([٨٦]) .

١٠- ظهور ظاهرة الحجاب الإسلامي، والنقاب بشكل ملحوظ في كافة المجتمعات بالرغم من المؤامرات التي حيكت ضده وما تزال .

١١- أثبتت الصحوة الإسلامية وجودها على الصعيد الاقتصادي، فنشأت البنوك الإسلامية والمؤسسات المالية، وتوسعت في أقطار كثيرة من العالم الإسلامي(٨٧)

١٢- احياء الحركات الإسلامية لفريضة الجهاد – الفريضة الغائبة – في كثير من أرجاء المعمورة مثل فلسطين وكشمير والشيشان، وأفغانستان، وأخيراً في العراق ([٨٨]) .

١٣- اعتزاز الشباب المسلم الملتزم بدينهم، وتحولهم من دور الدفاع إلى دور التحدي ومن مرحلة الاستحياء والتواري إلى مرحلة البروز والاعتزاز([٨٩]) .

١٤- تـزايد المواقـع الإسـلامية على شبكة الاتصالات العالمية - الإنترنت - وتزايد الإقبال عليها للاستفادة منها من كل فئات المجتمع الصغار والكبار .

١٥- كـثرة المؤسسـات الإسلامية التربوية والعلمية والخيرية في المجتمعات العربية خاصة، والتي تساهم في الصحوة وبناء الجيل .

هـذه بعض مظاهر الصحوة الإسلامية آثارها في الحياة الإسلامية، والتي يتطلع إليها المؤمـنون الصـادقون فـي ثقـة بأنها ستكون بإذن الله من الخطوط البارزة في المستقبل القريب، لا سيما أنها برزت للوجود في الوقت الذي بدأ فيه صرح الجاهلية يتهاوى، وأصبح عوارهـا يظهـر للعيون، وبدأ الناس يتلفتون باحثين عن منهج بديل، فهي إذن حركة ذات دلالة تاريخية، وليست مجرد حركة محلية في بلد من البلدان ([٩٠]) .

يقـول د. يوسـف القرضـاوي : " لا يسـتطيع عاقل منصف أن ينكر أثر (الصحوة الإسـلامية) في حياتنا المعاصرة، تلك الصحوة التي شرقت وغربت، وأضاءت بنورها ديار الإسـلام، ثـم ذهبت إلى حيث يوجد المسلمون خارج أوطان الإسلام، بين الأقليات الكبيرة والصغيرة، والجاليات المنتشرة في أنحاء العالم، وهدى الله بها ملايين الشبان والشابات .

أيقظـت هـذه الصـحوة العقـول بالوعي، وملأت القلوب بالإيمان والحماس، ودفعت الإرادات إلى الالتزام والعمل، أثرت على النساء كما أثرت على الرجال، وغيرت من مفاهيم الأجـيال الجديدة، فنقلتها من التفكير العلماني إلى التفكير الإسلامي، ومن الولاء للغرب إلى الـولاء لله ولرسـوله، ... فنشـأ جـيل مسلم ملتزم بالإسلام : عقيدة وشريعة، وسلوكاً، وحضارة . رجونا أن يكون (جيل النصر المنشود)([٩١]) .

الثاني : انهيار المعسكر الشيوعي :

الشـيوعية مذهـب فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء، ويفسر الـتاريخ بصـراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي، ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وانجلز، وتجسـدت فـي الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧م بتخطيط من اليهود، وتوسـعت علـى حسـاب غيرها بالحديد والنار، وقد تضرر المسلمون منها كثيراً، وهناك شـعوب محيت بسببها من التاريخ، ولكن الشيوعية أصبحت اليوم في ذمة التاريخ، بعد أن تخلـى عـنها الإتحـاد السـوفيتي، الـذي تفكك بدوره إلى دول مستقلة، تخلت كلها عن الماركسية، واعتبرتها نظرية غير قابلة للتطبيق([٩٢]).

وقد حكمت الشيوعية عدة دول منها :

- الاتحاد السوفيتي، الصين، تشيكوسلوفاكيا، المجر، بلغاريا، بولندا، ألمانيا الشرقية، رومانيا، يوغسلافيا، ألبانيا، كوبا.

ومعلـوم أن دخول الشيوعية إلى هذه الدول كان بالقوة والنار والتسلط الاستعماري. ولذلـك فـإن جل شعوب هذه الدول أصبحت تتململ بعد أن عرفت الشيوعية على حقيقتها وأنهـا ليسـت الفـردوس الـذي صور لهم وبالتالي بدأت الانتفاضات والثورات تظهر هنا وهـناك، كمـا حـدث فـي بولـندا والمجر و تشيكوسلوفاكيا، كما أنك لا تكاد تجد دولتين شيوعيتين في وئام دائم.

أما في العالم الإسلامي فقد استفاد الشيوعيون من جهل بعض الحكام وحرصهم على تدعـيم كراسـيهم ولو على حساب الدين، إذ اكتسحت الشيوعية أفغانستان وشردت شعبها المسلم كما تحكمت في بعض الدول الإسلامية الأخرى بواسطة عملائها.

وتقـوم الدول الشيوعية بتوزيع ملايين الكتيبات والنشرات مجاناً في كافة أنحاء العالم داعية إلى مذهبها.

أسست الشيوعية أحزاباً لها في كل الدول العربية والإسلامية تقريباً فتجد لها أحزاباً في مصر، سورية، لبنان، فلسطين، والأردن، تونس وغيرها."(٩٣)

ويعـد انهـيار الأنظمة الشمولية، وخصوصاً الشيوعية التي زعمت يوماً أنها ستغزو العالم، وترث الأديان، وتهزم الفلسفات، والتي لقيت أولى هزائمها على أيدي المجاهدين في أفغانسـتان، والذين انتصروا بأسلحتهم المتواضعة على أعتى دولة ملحدة في التاريخ ، لقد سـقطت قـلاع الشـيوعية واحـدة تلو الأخرى، بدءاً بالاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية، وانتهاءً بألبانيا (٩٤).

وكـان لابـد أن تأتـي اللحظـة التي تنهار فيها الشيوعية، ليحل محلها نقيضها وهو الإسـلام -إن شاء تعالى- أشار إلى ذلك الدكتور عبد الله عزام في كتابه الإسلام ومستقبل البشـرية، بقوله "إنني ألمح الذبول في فرعي الحضارة (الغربي والشرقي) ولكنني أرى أن الضـمور والاصـفرار في الفرع الشرقي أشد وأكثر، ومع تأكيدي- والله أعلم-أن الشجرة سـتنهار وليس زمن سقوطها نهائياً بعيداً لأنها سنة الله... أقول: إنني ألمح أن الذبول في الفرع الشرقي أشد رغم أنه أحدث سناً وأصغر عمراً. أراه يلوي على نفسه ويتدلى بسرعة، ويفقـد بقـية الحـياة فيه لحظة تلو اللحظة، ولذا فإنني أتوقع أن انهيار الشيوعية(الفرع الشرقي)سيكون أسرع والله أعلم.."(٩٥).

وهـذا مـا توقعه المفكر الإسلامي محمد قطب في كتابه القيم" رؤية إسلامية لأحوال العـالم المعاصـر " تحـت عنوان : " توقعات المستقبل " قال : " في صورة الحاضر بعض الخطـوط التـي يمكـن أن تعينـنا في محاولة استخلاص صورة للمستقبل ويذكر من هذه الخطوط" انهيار الشيوعية "(٩٦).

ويتساءل محمد قطب هل نستطيع أن نسقط من المبشرات انهيار الشيوعية ؟

ويجيـب: " حقيقة إن الدولة التي كانت تحمل الشيوعية لا تزال قائمة، ولا تزال تعمل ضد الإسـلام كمـا كانت تعمل وهي تحمل الشيوعية، وأوضح أعمالها- بعد انهيار الشيوعية - فتحها باب الهجرة على مصراعيه لليهود" التكنولوجيين "، ليحتلوا قطعة من أرض الإسلام، وينزعوها من جسم الأمة الإسلامية.

ومع ذلك فإن انهيار المذهب الشيوعي في ذاته لابد أن يوضع في المبشرات. فقد كانت الشـيوعية فتـنة لكثـير مـن الشباب في العالم الإسلامي، بل كانت أمريكا ذاتها تستخدم الشيوعية- في مناطق نفوذها- لتحارب لها الإسلام ! وكانت تضع وسائل الإعلام في أيدي الشيوعيين ليشوهوا صورة الإسلام في نفوس الشباب ويفتنوهم عنه. ومهما يكن في جعبة اليهود- مبتدعي الشيوعية – من بدائل لفتنة الناس عن الدين، فإن انهيار النظام الذي كان قائمـاً علـى الإلحـاد، هو دفعة للاتجاه الديني في الأرض كلها، ودفعة للتيار الإسلامي في أرض الإسلام."(٩٧) .

أسباب سقوط الشيوعية(٩٨) :

تقهقـرت الشـيوعية وانهـارت فعلاً لأنها نظرية فاسدة تحمل في ذاتها بذور فنائها، وتعود أسباب سقوطها إلى أسباب ذاتية وأسباب خارجية نذكرها باختصار.

أولاً: الأسباب الذاتية لسقوط الشيوعية:

أ- مجافاتها للعلم وحقائقه.

ب- اصطدام النظرية بالفطرة البشرية.

ج- كذب تنبؤات كاهن الشيوعية الأكبر كارل ماركس.

د- فشل النظرية في التطبيق (٩٩).

ثانياً: الأسباب الخارجية لسقوط الشيوعية:

أ- اسـتخدام الشـيوعية للإرهـاب والقتل و الدمار بصورة غاشمة تجاه الدول والشعوب الأخرى.

ب- التصدع والنزاع بين الدول الشيوعية نفسها، حيث انشقت الصين على روسيا، وتبادلتا الاتهامات بخيانة المبادئ الشيوعية وممالأة الإمبريالية.

ج- الجهاد الأفغاني : لقد كان الجهاد الأفغاني سبباً جوهرياً لانهيار الشيوعية، حيث استطاع شعب أعزل أن يصمد أمام وحشية الدب الروسي.

د- الصحوة الإسلامية من أسباب سقوط الشيوعية في البلدان الشيوعية كروسيا، وفي البلاد الإسلامية، وهذه الصحوة نتاج جهاد طويل ودماء غزيرة، سالت على ثرى مصر، وسوريا، وفلسطين، واليمن(الجنوبي)، والصومال، وأريتيريا، وغيرها من البلاد التي اكتوت بنار الاستعمار الشيوعي، وتسلط الأحزاب الشيوعية، وتآمرها ضد مصالح الشعوب والأمم الإسلامية.

هـ- ومن أسباب انهيار الشيوعية أيضاً: الردة عن الشيوعية والكفر بأفكارها ومبادئها، وخاصة من قبل كثير من العلماء والمفكرين الذين كانوا من أشد الدعاة أو المتحمسين لها (١٠٠).

نعم ، " لقد انهارت الشيوعية في معاقلها بعد قرابة السبعين عاماً من قيام الحكم الشيوعي وبعد أربعين عاماً من تطبيق أفكارها في أوروبا الشرقية وأعلن كبار المسؤولين في الاتحاد السوفيتي قبل تفككه أن الكثير من المبادئ الماركسية لم تعد صالحة للبقاء وليس بمقدورها أن تواجه مشاكل ومتطلبات العصر الأمر الذي تسبب في تخلف البلدان التي تطبق هذا النظام عن مثيلاتها الرأسمالية.

وهكذا يتراجع دعاة الفكر المادي الشيوعي عن تطبيقه لعدم واقعيته وتخلفه عن متابعة التطور الصناعي والعلمي وتسببه في تدهور الوضع الاقتصادي وهدم العلاقات الاجتماعية وإشاعة البؤس والحرمان والظلم والفساد ومصادمة الفطرة ومصادرة الحريات ومحاربة الأديان. وقد تأكد بوضوح بعد التطبيق لهذه الفترة الطويلة أن من عيوب الماركسية أنها تمنع الملكية الفردية وتحاربها وتلغي الإرث الشرعي وهذا مخالف للفطرة وطبائع الأشياء ولا تعطي الحرية للفرد في العمل وناتج العمل ولا تقيم العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع وأن الشيوعي يعمل لتحقيق مصلحته ولو هدم مصالح الآخرين وينحصر خوفه في حدود رقابة السلطة وسوط القانون وأن الماركسية تهدم أساس المجتمع وهو الأسرة فتقضي بذلك على العلاقات الاجتماعية.

اقتنع الجميع بأنها نظرية فاسدة يستحيل تطبيقها حيث تحمل في ذاتها بذور فنائها وقد ظهر لمن مارسوها عدم واقعيتها وعدم إمكانية تطبيقها ومن أكبر ناقدي الماركسية من

الماركسيين أنفسهم الفيلسوف الأمريكي أريخ مزوم في كتابه " المجتمع السليم "، ومن غير الماركسيين كارل بوبر صاحب كتاب " المجتمع المفتوح "، وغيرهما، ويجيء جورباتشوف في كتابه " البيروسترويكا " أو إعادة البناء ليفضح عيوب تطبيق الشيوعية في الاتحاد السوفيتي.

وتبين بعد انهيارها أنها لم تفلح في القضاء على القوميات المتنافرة بل زادتها اشتعالاً ولم تسمح بقدر ولو ضئيل من الحرية ، بل عمدت دائماً إلى سياسة الظلم والقمع والنفي والقتل وحولت أتباعها إلى قطيع من البشر. وهكذا باءت جميع نبوءات كارل ماركس بالفشل وأصبح مصير النظرية إلى مزبلة التاريخ، ثم انتهى الأمر بتفكك الاتحاد السوفيتي ذاته، وأصبح اسمه مجرد أثر في تاريخ المذاهب الهدامة "(١٠١) .

الثالث : اقتراب سقوط الحضارة الغربية وحتمية انهيارها :

لقد تلاشى دور الاتحاد السوفيتي- كما رأينا – في حديثنا عن سقوط الشيوعية على المستوى العالمي، وتضاءلت سلطة قادته، بعد أن مزقه الله شر ممزق، وصار أثراً بعد عين، وسوف تتعرض الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا للمصير ذاته، وخاصة أن إرهاصاته تبدو جلية في مصادر الفساد المنتشر في مختلف أنحائها، وفي التمييز العنصري الذي انعكس بشكل حاد لاسيما في الحياة الأمريكية (١٠٢).

ويرجع السبب في ذلك إلى الخواء الروحي والفراغ في حياة الغرب وعدم وجود غاية كبرى يهدف إليها الإنسان، أضف إلى ذلك الجحود بالإله الذي يفزع إليه وقت الشدة والحزن، وكذلك محاربة الحق المتمثلة في محاربة الإسلام والتآمر عليه ودعم ومساندة الظلم المتمثل في دعمهم للكيان الغاصب الظالم والظلم لا يدوم.

كل هذه الأسباب ستوصل الغرب – إن شاء الله تعالى – إلى المصير المؤلم، والنهاية المخزية، إنه الشقاء، والتمزق الداخلي، والتوتر العصبي، والفزع وشبح هول الحرب المسيطر على الأخيلة، إنه الهروب من الحياة إلى الكحول ثم إلى المخدرات (١٠٣).

هذا الفراغ الذي يعيشه الأوربي والأمريكي، خواء روحياً، وخواء فكرياً، له أثر بعيد داخل الفرد، فالفرد الأوروبي أو الأمريكي، وإن بدا سعيداً بتوافر إمكانيات الحياة المادية، لكنه في الحقيقة غير ذلك.. لأنه يحس هذا الخواء الذي لم تملأه فلسفة حديثة ولا قديمة، ولا محاولات اللهو الفارغة التي بلغت في إسفافها وسقوطها دركاً بعيداً.. تأنف منه بعض الحيوانات.

يقول سيد قطب مصوراً حال البشرية وكأنها تقف على شفا جرف هار تكاد أن تهوي فيه : " تقف البشرية اليوم على حافة الهاوية.. ليس بسبب التهديد بالفناء المعلق على رأسها .. فهذا عرض للمرض وليس هو المرض .. ولكن بسبب إفلاسها في عالم " القيم "

التـــي يمكـــن أن تنمو الحياة الإنسانية في ظلالها نمواً سليماً وتترقى ترقياً صحيحاً . وهذا واضــح كــل الوضوح في العالم الغربي الذي لم يعد لديه ما يعطيه للبشرية من " القيم " بل الذي لم يعد لديه ما يقنع ضميره باستحقاقه للوجود "([104]) .

ويقــول أبــو الأعلى المودودي بصدد تصويره لواقع العالم الغربي والنهاية المحتومة التي سيلقاها : " ولا يزال هذا الداء الوبيل – من غلبة الشهوات البهيمية – ينفجر في كيان الأمم الغربية وينتقص من قوة حياتها بسرعة هائلة، والتاريخ يشهد أنه ما سرى هذا الداء في مفاصل أمة إلا وأوردها موارد التلف والفناء، ذلك بأنه يقتل في الإنسان كل ما آتاه الله من القوى العقلية والجسدية لبقائه وتقدمه في الحياة "([105]) .

والأوروبيــون أنفسهم يدركون هذه النهاية المحتومة التي لن تستطيع قوة أرضية أن تخلصهم منها([106]) .

يقول الفيلسوف الإنجليزي المعاصر" برتراند رسل ":

" لقــد انتهى العصر الذي يسود فيه الرجل الأبيض، وبقاء تلك السيادة إلى الأبد ليس قانونــاً من قوانين الطبيعة، وأعتقد أن الرجل الأبيض لن يلقى أياماً رضية كتلك التي لقيها خلال أربعة قرون "([107]).

ويقــول ماكنــيل: " إن الحضارة الغربية في الطور الأخير من أطوار حياتها لأشبه بالوحش الذي بلغت شراسته النهاية في انتهاكه لكل ما هو معنوي، وبلغ اعتداؤه على تراث السلف وعلــى كل ما هو مقدس ومحرم قمته، ثم أغاص مخالبه في أمعائه فانتزعها وأخذ يمزقها ويلوكها بين فكيه بمنتهى الغيرة والتشفي"([108]) .

ونظــير ذلك، ما ذكره المفكر لاموني، بصدد هذا الموضوع، إلا أنه يبدو أكثر وضوحاً، حيــث يقــول : " إن الجنس البشري بكامله يمشي بخطى حثيثة إلى الهلاك، إنه في النزع الأخــير، كذلك الإنسان الجزع المسكين الذي لا يرجى له شفاء فكثرة الأخطاء في حضارتنا تجرها إلى الغرق "([109]) .

ويتحدث الفرنسي" ألكسيس كاريل " في كتابه " الإنسان ذلك المجهول "عن مظاهر الانهيار في الحضارة الغربية، ثم يعللها بأن تلك الحضارة قد أنشئت دون أية معرفة بطبيعة " الإنسان " الذي أنشأت من أجله([110]) .

ويقول المستشرق الأمريكي" سارتون ": ليس ما يمنع أن تقود شعوب العالم الإسلامي العالم مرة أخرى في المستقبل القريب أو البعيد، كما قادته في العصورالوسطى.

وقد أدرك مفكرو الغرب وعقلائه الخطر الداهم الذي يتهددهم، والنهاية الحتمية لحضارتهم، فذهب كثير منهم يرشحون الإسلام لحل مشاكل البشرية ومن هؤلاء الروائي الروسي" سولجنتسين " إذ يقول : " إن الطريقة الوحيدة نحو تصحيح المسار المادي المنحرف للإنسان الغربي المعاصر هو عودة الإنسان إلى الإيمان بقوة مهيمنة على مصير الإنسان، وهي التي تحدد له قيمته ومسؤولياته الأخلاقية والاجتماعية، وكذلك الإيمان بوجود قيم أخلاقية عالية وموضوعية شاملة لكل البشر وهي تعلو على كل اعتبارات الحرية الفردية التي لا تحددها حدود "(١١١) .

وهـذا ديباسـكيية المفكر الفرنسي يرشح الإسلام كمنقذ وحيد للبشرية، فيقول : " إن الغرب لم يعرف الإسلام أبداً، فمنذ ظهور الإسلام اتخذ الغرب موقفاً عدائياً منه ولم يكف من الافـتراء عليه والتنديد به لكي يجد مبررات لقتاله، وقد ترتب على هذا التشويه أن رسخت في العقلية الغربية مقولات فظة عن الإسلام ".

ويضيف قائلاً : " ولا شك أن الإسلام هي الوحدانية التي يحتاج إليها العالم المعاصر ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة التي لابد إن استمرت أن تنتهي بتدمير الإنسان "(١١٢) .

ويؤكد اشبنجلر أن المستقبل لحضارة الإسلام فيقول : " إن للحضارة دورات فلكية، تغرب هنا لتشرق هناك، وإن حضارة جديدة أوشكت على الشروق في أروع صورة، هي حضارة الإسلام الذي يملك أقوى قوة روحانية عالمية نقية "(١١٣) .

إن هـذه الأقوال وغيرها ليؤكد نهاية الولايات المتحدة الأمريكية، ومن نهج نهجها من دول أوروبا الكافرة، كتحصيل حاصل، ونهاية الاتحاد السوفيتي ليست ببعيدة عن الأذهان. وحسبك ما ذكره الدكتور" عبد الله عزام "_ رحمه الله _عن النهاية الحتمية التي انتهى إليها الاتحاد السوفيتي، والتي ستنتهي إليها الولايات المتحدة بإذن الله تعالى.

يقول_ رحمه الله _: إن شجرة المادية بفرعيها الغربي النفعي العلماني والشرقي الإلحادي ، تتآكل اليوم وينخر بها السوس من كل طرف وجزء من كيانها، لقد بدأ العفن منذ أيامها الأولى لأنها قامت على غير أساس ، بنيت على غير هدى ... إنني ألمح الذبول في فرعي الحضارة (الغربي والشرقي) ... فأوروبا بشقيها الآن في طور الاستبدال والتغيير، ولكن مَنْ المرشح لوراثة الإنسان الغربي في قيادة البشرية ؟. وأي حضارة هذه التي ستتقدم بإذن ربها لإنقاذ الإنسان؟ إنها الإسلام، دين الله الذي ارتضاه للناس منهاجاً وإماماً

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(المائدة:٣) (١١٤) .

وختاماً نقول : أننا لا نقصد بما أكدنا من اقتراب سقوط الحضارة الغربية أن ذلك كائن في الغد القريب ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾(الأنعام: ٨٠) .

إنما نقول إنه مقضي عليها بالسقوط حسب سنة الله، لما تشتمل عليه من سنة الفساد أما سرعة الانهيار أو بطؤه فأمر متعلق بمشيئة الله وإرادته "(١١٥) .

قال تعالى:﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾(الأنعام: ٤٤).

وواقع حياتهم يشهد باتساع رقعة الفساد، مما يؤذن باقتراب الانهيار، حسب شهادتهم على أنفسهم، ومهما يكن بطء الانهيار فهو واقع لا محالة لأنه من سنن الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾(الحج:٤٨) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(الأنعام : الآيتان ٤٤ ، ٤٥)

الرابع : سيطرة اليهود على الأرض المباركة وإقامة دولتهم :

من الأدلة الواقعية على عود الخلافة تجمع اليهود في أرض الإسراء والمعراج وسيطرتهم عليها وإقامة دولتهم فيها ..

من المعلوم أن الله تعالى ضرب الذلة والمسكنة على اليهود وتوعدهم أن يبعث عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب . قال تعالى : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة:٦١).

وقال تعالى : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (آل عمران:٨٦-٨٧)

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾(الأعراف:١٦٧) .

ومع ذلك فقد استثنى الله عز وجل من ذلك فترة من الزمن . قال تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾(آل عمران:١١٢) .

فـــ "هذا إخبار من الله تعالى أن اليهود ضربت عليهم الذلة، فهم خائفون أينما ثقفوا. ولا يؤمـــنهم شـــيء إلا معـــاهدة، وسبب يأمنون به، يرضخون لأحكام الإسلام، ويعترفون بالجزية.

أو " وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ " أي: إذا كانوا تحت ولاية غيرهم ونظارتهم، كما شوهد حالهم سابقا ولاحقا. فـــإنهم لم يتمكنوا في الوقت الأخير من الملك المؤقت في فلسطين، إلا بنصر الدول الكبرى، وتمهيدها لهم كل سبب."[116]

فالأصـــل الدائم بالنسبة لليهود هو ضرب الذلة عليهم في كل أرجاء الأرض وفي جميع الأوقـــات، والاســـتثناء هـــنا كمـــا جـــاء في النص صراحة أن يمكنوا في الأرض ويكونوا مسيطرين: ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾ فإن الله تعالى الذي يُقَدِّر الأسباب جعل أعمال البشر هـــي مـــن الأســـباب، فالـــيهود اليوم متصلين بحبل من الناس، وقد قامت دولتهم على هذا الأســـاس، فقـــد سخر الله فئتين من الناس أن يكونوا حراساً على اليهود يمنعونهم من أن يعيثوا في الأرض فساداً ويحققوا مخططاتهم الشريرة في إضلال البشرية:

أمـــا الفئة الأولى : فهي النصارى : يقول تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾(آل عمران:٥٥). ومعنى ذلـــك أن النصارى مكلفون بحراسة اليهود إلى يوم القيامة يمنعونهم من الخروج من قبضة أيديهم بما أنهم " فوقهم " أي مسيطرون عليهم .

وأمـــا الفـــئة الثانية : فهي الأمة الإسلامية : التي كلفت بالحراسة على الفريقين معاً : الـــيهود والنصارى، قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(البقرة:١٤٣).

أما الحارس الأول : فقد خرج من دينه ، ولم يدخل في دين الله الصحيح .

وأمـــا الحـــارس الثانـــي : - المكلف بالحراسة على الفريقين معاً - فقد نسي رسالته للبشرية ونكل عنها، ثم لم يقف الأمر عند هذا الحد فنسي رسالته نحو نفسه، وفرط فيها!!! فماذا يتوقع من الوحش المحصور في داخل الجحر حين يغيب الحراس ؟ المتوقع أن ينفلت من الجحر مستغلاً غفلة الحراس.

وهذا ما حصل بالفعل، وهو أمر الله تعالى : ﴿ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾، فأما حبل الله فهو قدر الله ومشيئته وإرادته، لأنه لا يحصل في هذا الكون شيء إلا بأمره تعالى سبحانه.[117]

وأما الحبل من الناس فهو يتمثل في أمرين :

الأول : العون المالي والسياسي والعسكري والأدبي ، بل ووكل أنواع العون من أمريكا وأوروبا حتى وروسيا وغيرها من ملة الكفر .

الثانـــي : الحالة السائدة في الأمة الإسلامية المتمثلة في البعد عن دين الله تعالى، وما أدى إليه من ضعف وتمزق وتشرذم في حال الأمة اليوم .

ولن ينتهي هذا الاستثناء ويعود الأمر إلى ما كان عليه إلا بأمر الله تعالى حين تتوفر الأسباب:

وأولهـــا : عود الأمة الإسلامية إلى رشدها ودينها ووحدتها المتمثلة في دولة الخلافة ووجود الخليفة المسلم الذي تجتمع تحت رايته الأمة الإسلامية، والأمة الإسلامية قد وعدت بالنصر والتمكين يوم تتصف بالإيمان على الوجه الذي يرضي الله تعالى ، وتقوم بواجباتها كذلــك، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(الروم:٤٧)، وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾(الإســراء:٧) والوعــد الإلهي للأمة الإسلامية لا يتحقق بإذن الله تعالى إلا بوحدة الأمة، ووحدة الأمة لا يــتحقق إلا بتنصــيب الإمــام المســلم الذي يحكم بشرع الله ويرعى شؤون الإسلام والأمة الإسلامية ويرفع لواء الحق ...وقد بدأت بوادره في هذه الأيام على أرض فلسطين من خلال الشــباب المؤمــن المجــاهد الذي يضحي بنفسه في سبيل الله، ومن أجل رفع راية الإسلام العظيم..فقد ضربوا أروع الأمثلة في الرباط والجهد في سبيل الله وفي الصبر والمصابرة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(آل عمران:٢٠٠) .

وثاني الأسباب: هو سقوط الحضارة الغربية التي توفر المدد والعون لليهود، وتساعدهم في سيطرتهم على هذه الأرض المباركة، وتمد في أسباب وجودهم – وقد بدأت بوادرها كما أشرنا سابقا-.﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴾(الاسراء:٥١) .

الخاتمـــة

بعـد هذا العرض المستفيض ، نحمد الله تعالى أن أعاننا على إتمام هذا البحث، آملين أن يكـون هـذا العمـل خطوة تسهم في عودة الخلافة الإسلامية – إن شاء الله تعالى –، ونخـتم بإبـراز أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان من خلال هذه الدراسة، وقد جاءت متنوعة، ويمكن أن نجملها فيما يلي:

١- إن الخلافــة هي بمثابة مظلة يجد الناس تحتها تعاليم الإسلام تطبق في أسلوب عملي، يسعدون به في حياتهم، ويجتازون به إلى الآخرة .

٢- الواجــب علــى العلماء والدعاة العاملين للإسلام أن يكون همهم الأول العمل من أجل قـيام خلافــة راشدة تحتضن المسلمين في جميع أصقاع الأرض، على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأوطانهم وأجناسهم، لتتمكن الأمة من استئناف حياتها الإسلامية، وليعود لها سلطانها وعزها بعد أن أُقصيت خلافتها الراشدة فترة من الزمن.

٣- أن اعتقاد أن الخلافة لا تقوم إلا في زمن المهدي – عليه السلام – اعتقاد باطل وخطير يجعل المسلمين يتواكلون على أحاديث المهدي، ويتركون العمل للإسلام انتظاراً منهم خروج المهدي – عليه السلام – متوهمين أن عودتها غير ممكنة قبل ظهوره .

٤- لا يجــوز للمســلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام وإقامة دولته على وجه الأرض ؛ انتظاراً منهم لخروج المهدي و نزول عيسى عليهما الصلاة والسلام ؛ يأساً منهم ؛ أو توهمــاً أن ذلــك غير ممكن قبلهما ! فإن هذا توهم باطل ، ويأس عاطل فإن الله تعالى ورســوله ﷺ لــم يخـبرا أن لا عودة للإسلام ولا سلطان له على وجه الأرض إلا في زمانهما ، فمن الجائز أن يتحقق ذلك قبلهما إذا أخذ المسلمون بالأسباب الموجبة لذلك لقوله تعالى : ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد:٧) .

٥- إن الخلافــة في الاصطلاح الإسلامي تعني القيادة الإسلامية أو الإمامة ، ومن هنا يُعلم إن مصطلح الإمامة يرادف مصطلح الخلافة. فالعلماء لم يفرقوا في الاستعمال بين لفظ إمام ولفظ خليفة وإنما استعملوا كلا اللفظين بمعنى واحد .

٦- أبــرز البحث أهمية الخلافة في حياة المسلمين إذ إنه لا قيام للدين وأحكامه على الوجه الأكمـل إلا بهـا، ولا أمن ولا أمان للمسلمين ولديارهم من أعدائهم إلا بها، ولا رادع للظالميــن وقاطعــي الطــريق إلا بها، فالقرآن الكريم لا بد له من قوة وسلطان يحميه

ويفرضه على الناس، ويرعاه ويتعاهد أحكامه وشرائعه .. فالقرآن وسيف السلطان يسيران جنباً إلى جنب يؤيد بعضهما البعض، وأيهما تخلف عن الآخر فإن مسيرة الإسلام ـ لا محالة ـ سيعتريها الضعف والنكبات والانتكاسات.

٧- إمكانية عودة الخلافة الإسلامية، وعليه يجب علينا أن لا ندع العمل، ولا نركن إلى أن الخلافة لن تكون إلا بمقدم المهدي عليه السلام، فالمطلوب من المسلم العمل لإعادة الخلافة الإسلامية، وإعزاز دين الله، بغض النظر عن ربط ذلك بشخص معين، فالأمر لا يعلم وقته إلا الله تعالى .

٨- إن الحكم الجبري الذي تعيشه الأمة قد آذن بالزوال وإن زواله مؤذن بعودة الخلافة التي على منهاج النبوة وعلى الأمة الاستعداد أفراداً وجماعات بتحمل كثير من المصائب والشدائد التي سوف يقوم بها النصارى واليهود ضد المسلمين في تحالف يضم دول الكفر جميعها بجانب تحالفهم مع عملائهم من حكام فترة الحكم الجبري وهذه الشدائد التي ستصيب الأمة أمر لازم لخروجها من واقعها الذي تعيشه والعبور إلى مرحلة الخلافة التي على منهاج النبوة.

٩- إن إقامة حكم الله تبارك وتعالى في الأرض وإقامة خلافة راشدة على منهاج النبوة واجب شرعي في أعناق المسلمين جميعاً، وكل تارك للسعي لذلك بكل ما أوتي من قوة هو آثم عند الله تبارك وتعالى، إلا إذا كان من أهل الأعذار، وهذا أمر لا خلاف عليه بين علماء الإسلام.

والواجب هنا يطال جميع من يستطيع أن يبذل جهداً من أجل هذا الهدف العام الكبير وبحسب استطاعته، كما أن الإثم يطال جميع من يملك المقدرة على بذل شيء ثم هو يقصر في بذل ما يقدر عليه، والإثم يلحق بصاحبه على قدر ما يبدر منه من تقصير وتفريط، لأن مدار التكليف قائم على المقدرة والاستطاعة .

١٠- دلت الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة الصحيحة على عودة الخلافة الإسلامية قبل قيام الساعة وقبل ظهور المهدي -عليه السلام- بل إن الأدلة تؤكد أن عودتها قد أزفت، وقد لاح بريقها .

١١- إن كثيراً من المسلمين يخطئون - في رأينا - في فهم النصوص، فيظنون أن دولة اليهود مستمرة حتى قبيل الساعة إلى أن ينزل المسيح عليه السلام، وهذا خطأ ووهم .

فالنصوص تذكر أنه عند نزول المسيح عليه السلام تكون القدس عاصمة الخلافة الإسلامية، واليهود الذين يُقتّلون وقتذاك، والذين يدل عليهم الشجر والحجر بشكل

مُعْجِز هم الذين سيقدمون مع المسيح الدجال عليه لعنة الله . وهذا يشير إلى أن الدولة اليهودية الحاضرة ستُصفّى وتنتهي نهائياً، ذلك وعد الله سبحانه: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ (الإسراء:٨) إن عدتم بالإفساد عدنا عليكم بالتسليط، وهاهم عادوا وسيعود الله عليهم بالتسليط حين يوجد جند الله ".

١٢- إن ذات المصير الذي تعرض له الاتحاد السوفيتي- كما رأينا – في حديثنا عن سقوط الشيوعية على المستوى العالمي، فأدى إلى تضاؤل سلطة قادته، بعد أن مزقه الله شر ممزق، وصار أثراً بعد عين، سوف تتعرض الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا له، خاصة أن إرهاصاته تبدو جلية في مصادر الفساد المنتشر في مختلف أنحائها، وفي التمييز العنصري الذي انعكس بشكل حاد لاسيما في الحياة الأمريكية، والظلم الواقع على المسلمين خاصة في العراق وفلسطين وغيرها، وظاهرة التكبر والعظمة التي بدأ يظهر بها رؤساء وقادة تلك الدول وخاصة أمريكا .

---

(١) لا شك أن تحقيق التوحيد ونشره في الأرض من أعظم غايات هذا الدين وأجلّها، وأنه لا يعلو قيام الخلافة الراشدة غاية ينهض إليها المسلمون إلا غاية التوحيد الذي لأجلها خلق الله الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وفي سبيلها ترخص جميع المقاصد، وكل غالٍ ونفيس .

فالخلافة، والسلطان، والدولة وغير ذلك من معاني الشوكة والقوة كلها تدخل كوسائل مباشرة وهامة من أجل تحقيق التوحيد في الأرض؛ من أجل اخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا وسجنها إلى سعة الآخرة وجنانها.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند – مؤسسة قرطبة – مصر – ٤ / ١٠٣ ، وروا ه الحاكم في المستدرك على الصحيحين – تحقق: مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ١ – ١٤١١هـ – ١٩٩٠م – ٤ / ٤٧٧ ..

(٣) انظر الأدلة القرآنية ص ١٦ والأدلة النبوية ص ١٧ من هذا البحث.

(٤)عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي علي السلام – أمين محمد جمال الدين –المكتبة التوفيقية – مصر – ط٢ – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م – ص١٤- ١٦ . والمفارقة العجيبة أن هذا الكاتب يذكر من الأحاديث التي تخبر بمجيء المهدي عليه السلام حديثاً يؤكد أن الخلافة تكون موجودة حين ظهور المهدي عليه السلام وهو قول النبي ﷺ " يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من قريش من أهل المدينة إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام ..." انظر تخريج هذا الحديث والتعليق عليه ص ١٨ من هذا البحث .

(*) مقدمة الكتاب المذكور

(٦) قصــة المســيح الدجــال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله إياه – المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن – ط ١ – ١٤٢١هـ – ص ٢٦- ٢٧.

(٧) الخلافــة والإمامــة ديانة وسياسة : عبد الكريم الخطيب – دار الكتاب العربي – مصر – ط ١ – ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٣ م – ص ٣٣٩ .

(٨) مجــد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي : القاموس المحيط – مؤسسة الرسالة – تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – ص ١٠٤٤ .

(٩) ابن منظور : لسان العرب – مؤسسة التاريخ العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م – ٩ / ٨٣ .

(١٠) مقدمة تاريخ ابن خلدون – عبد الرحمن بن خلدون – دار القلم – ط٥ – ١٩٨٤م – ص ١٩١ .

(١١) مفــردات ألفــاظ القرآن الكريم – الراغب الأصفهاني – تحقيق : صفوان عدنان داوودي – دار القلم – دمشق – ط١ – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م – ص٢٩٤ .

(١٢) المصدر السابق : ص : ٢٩٤ .

(١٣) الخلــيفة توليــته وعزله ..إسهام في النظرية الدستورية الإسلامية – د. صلاح الدين دبوس – مؤسسة الرسالة الجامعية – الإسكندرية – ص ٢٥ .

(١٤) المــاوردي : هــو الإمام العلامة أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشــافعي. حــدث عــنه أبو بكر الخطيب ووثقه. وقال : مات في ربيع الأول سنة خمسين وأربع مائة . وولي القضاء ببلدان شتى. بلغ ستاً وثمانين سنة . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله – مؤسسة الرسالة – ١٤١٣هـ – ط ٩ – اسم المحقق :: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي – ١٨ / ٦٤

(١٥) الأحكــام الســلطانية والولايــات الدينــية – أبــو الحســن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي– مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – ط ٢ – ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م – ص ٥ .

(١٦) الجويني : هو الإمام الكبير، شيخ الشافعية إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينــي ثــم النيســابوري الشــافعي، ولد في أول سنة تسع عشرة وأربع مائة، وتوفي في سنة ثمان وسبعين وأربع مائة . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء الذهبي – ١٨ / ٤٧٧ .

(١٧) غــياث الأمــم فــي التــياث الظلم – الجويني – تحقيق ودراسة وفهرسة د . عبد العظيم الديب – كلية الشريعة – جامعة قطر – ط ١ – مطابع الدوحة الحديثة – ١٤٠٠هـ – ص ٢٢ .

(١٨) كشاف اصطلاحات الفنون – محمد أعلى بن علي التهانوي – خياط – بيروت – بدون سنة طباعة – ٩٢/١ .

(١٩) مقدمة ابن خلدون – ص ١٩١ .

(٢٠) الأحكام السلطانية والولايات الدينية – الماوردي – ص ٥ .

(٢١) تاريخ المذاهب الإسلامية – محمد أبو زهرة – دار الفكر العربي – القاهرة – ص ٢٠ .

(٢٢) رئــيس الدولــة بيــن الــنظم المعاصرة والفكر السياسي الإسلامي : د. محسن العبودي – دار النهضة العربية – القاهرة – ١٤١٠ هـ– ١٩٩٠ م – ص ٢٧ .

(٢٣) نظام الحكم في الإسلام : د.محمد يوسف موسى – دار المعرفة – القاهرة – ط ٢ – ١٩٦٤ م – ص٩

(٢٤) رواه البخاري في الصحيح - تحقيق : د. مصطفى ديب البغا - دار ابن كثير - اليمامة - بيروت - ط ٣ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - ٣/١٢٧٣، والإمام مسلم في صحيحه - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٣/١٤٧١ .

(٢٥) الأحكام السلطانية : محمد بن الحسين الفراء - شركة مكتبة أحمد بن سعد بن نبهان - سرويبا - أندونيسيا - ط ٣ - ١٣١٤ هـ - ١٩٧٤ م - ص ٢٧ . وانظر : مقدمة بن خلدون - ص١٩١، وكتاب النظم الإسلامية : د.حسن إبراهيم حسن، ود. علي إبراهيم حسن - ص ٤، كتاب الخلافة والإمامة ديانة وسياسة : عبد الكريم الخطيب - ص ٣٤٠، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي - ص ٣٦٩، النظام السياسي في الإسلام : د. محمد عبد القادر أبو فارس - دار القرآن الكريم - ط ١ - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م - ص ١٧٥ .

(٢٦) مقدمة ابن خلدون :عبد الرحمن بن خلدون - ص ١٩١ .

(٢٧) الخلافة والإمامة في الإسلام ديانة وسياسة - عبد الكريم الخطيب - دارالكتاب العربي - مصر - ط ١ - ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م : ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

(٢٨) تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي - دار الفكر - بيروت - ١٤٠١هـ - ٣ / ٦٠ .

(٢٩) رواه البخاري في صحيحه - ٣/ ١٠٨٠ ، ومسلم في الصحيح - ٣/١٤٧١ .

(٣٠) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة - تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ١ - ١٤٠٠هـ - ٢/٤٩٢ . قال الشيخ ناصر في التخريج ١٠٢٤: حديث حسن .

(٣١) انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة - د. علي جريشة - دار الوفاء للطباعة - المنصورة - ط ٣ - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م - ص ٣٥ - ٣٦ .

(٣٢) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي - د. علي جريشة ومحمد شريف الزيبق - دار الاعتصام - القاهرة - ص ٤١ .

(٣٣) انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة - د. علي جريشة - ص ٣٨ .

(٣٤) مسند أحمد في المسند - ٢٧٣/٤ ، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي - ٥ / ١٨٨- ١٨٩ ، ومسند البزار - تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله - مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم - بيروت ، المدينة - ط ١ - ١٤٠٩هـ - ٧/٢٢٤ .

(٣٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - علي بن أبي بكر الهيثمي - دار الريان للتراث ،دار الكتاب العربي - القاهرة ، بيروت -
١٤٠٧هـ - ١٨٩/٥ .

(٣٦) مستقبل الإسلام في ضوء الكتاب والسنة - رسالة دكتوراة غير منشورة - جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - جمهورية السودان - اعداد الطالب: نزار ريان - إشراف د. أحمد علي الإمام - ص ٣١٩ .

(٣٧) المرجع السابق - ص ٣١٧ .

(٣٨) انظر: مقومات النصر في ضوء الكتاب والسنة - د. أحمد أبو الشباب - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ط١ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - ٢/٤٣٦ .

(٣٩) القضية الفلسطينية – سعيد حوى – مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن – ط ١ – ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢ م – ص ٨٩ .
(٤٠) رواه أحمد في المسند – ١٢٦/٤ ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين – ١٧٦/١ .
(٤١) غياث الأمم في إلتياث الظلم– الجويني – ص ٢٢ .
(٤٢) مقدمة ابن خلدون – ص ١٩١ .
(٤٣) غياث الأمم في إلتياث الظلم– الجويني – ص ٢٢ – ٢٤ .
(٤٤) مقدمة ابن خلدون : ص ١٩١ .
(٤٥) صحيح مسلم بشرح النووي – أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط ٢ – ١٣٩٢هـ – ٢٠٥/١٢.
(٤٦) الأحكام السلطانية – ص ٥٦ .
(٤٧) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة – أحمد بن حجر الهيثمي – مكتبة القاهرة – ط ٢ – ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م – ص ٧ .
(٤٨) الجامع لأحكام القرآن – محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي – تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني – دار الشعب – القاهرة – ط ٢ – ١٣٧٢هـ – ٢٦٤/١ .
(٤٩) أصول الدين : عبد القاهر بن طاهر البغدادي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط ٣ – ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م – ص ١٧١ .
(٥٠) الأحكام السلطانية – أبو يعلى الفراء – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م – ص ١٩ .
(٥١) نظام الإسلام والدولة الحكم والدولة – محمد المبارك – دار الفكر – بيروت – ط ٢ – ١٣٩٥هـ – ١٩٧٤م – ص ١٢– ١٤ .
(٥٢) الحسبة في الإسلام – ابن تيمية – تقديم الأستاذ محمد المبارك – طبعة دار الكتب العربية – ١٣٨٧ هـ – ص ٥ .
(٥٣) رواه الإمام مسلم في الصحيح – ٣ / ١٤٧٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى – مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م – تحقيق : محمد عبد القادر عطا – ٨ / ١٥٦ .
(٥٤) رواه البخاري – ٣/ ١٠٨٠ ، والإمام مسلم – ١٤٧١/٣ .
(٥٥) سبق تخريجه ٧ من هذا البحث .
(٥٦) أخرجه الإمام البخاري – ٦/ ٢٥٨٨ ، ومسلم – ١٤٧٨/٣ .
(٥٧) رواه الإمام مسلم – ٣ / ١٤٧٢ ، وابو داود في سننه – تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الفكر– ٩٦/٤ .
(٥٨) الحسبة في الإسلام – ابن تيمية – ص ٣٠٢.
(٥٩) الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – ٢٦٤/١ .
(٦٠) المواقف في علم الكلام – عبد الرحم الإيجي – عالم الكتب – بيروت – ص ٣٩٦ .

(٦١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري – دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥هـ – ١٥٨/١٨ .

(٦٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – جار الله محمود ابن عمر الزمخشري – دار المعرفة– بيروت – لبنان – ٨٢/٣ .

(٦٣) في ظلال القرآن – سيد قطب – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط٧ – ١٣٩١هـ – ١٩٧١م – ٦ / ١٢٠ .

(٦٤) في ظلال القرآن – ٢٠٧/٤ .

(٦٥) رواه الإمام مسلم في صحيحه – ٤ / ٢٢٣٠ ، وذكره الألبني في السلسلة الصحيحة – ٣١/١ ، وقال الألباني " صحيح . رواه مسلم وغيره ، وقد خرجته في تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد – ص ٢٢ ، وأرجه الحافظ الداني في الفتن (ق ٥٨ – ٥٩) .

(٦٦) رواه الإمام أحمد في المسند – ٢٢٠/٥، ٢٢١ ، والترمذي في السنن – دار إحياء التراث العربي – بيروت – تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون – ٥٠٣/٤ ، وأبو داود في السنن – ٢١١/٤.

(٦٧) صحيح مسلم – ٢٢١٥/٤ ، والإمام أحمد في المسند – ٢٨٤/٥ .

(٦٨) مسند أحمد – ١٠٣/٤ .

(٦٩) صحيح مسلم – ١٣٧/١ .

(٧٠) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي – القاهرة ، بيروت ١٤٠٧هـ – ٢٨٨/٧ ، والطيالسي في المسند – دار المعرفة – بيروت – ١٠٤/١ .

(٧١) مسند أحمد ٢٦٩/٥.

(٧٢) انظر: مقومات النصر في ضوء الكتاب والسنة – د. أحمد أبو الشباب – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ط١ – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م – ٤٣٧/٢ .

(٧٣) مسند الإمام أحمد – ١٩٨/٥ ، والبزار في مجمع الزوائد – ٢٨٩/٧ .

(٧٤) مسند الإمام أحمد – ١٨٤/٥ .

(٧٥) مسند الإمام أحمد – ٢٨٨/٥ ، والحاكم في المستدرك – ٤٧١/٤ ، وأبو داود في السنن – ١٩/٣ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم ٢٢١٠ ، وفي صحيح الجامع رقم ٧٨٣٨ .

(٧٦) رواه الدارمي في السنن – ١٣٧/١ ،وأحمد في المسند – ١٧٦/٢، وابن أبي شيبة – المصنف في الأحاديث والآثار – تحقيق: كمال يوسف الحوت – مكتبة الرشد – الرياض – ط ١ – ١٤٠٩هـ – ٤/ ٢١٩ .

(٧٧) صحيح مسلم – ٢٢٣٩/٤ . ومسند أحمد – ٤١٧/٢ .

(٧٨) القضية الفلسطينية – سعيد حوى – ص ٦-٧ .

(٧٩)والملك العاض: أن يصيب الرعية فيه عسف وظلم، كأنهم يعضون فيه عضاً والعضوض من أبنية المبالغة. انظر: ابن الأثير –النهاية٢٥٣/٣ مادة عضض.

(٨٠) والملك الجبري : ملك عتو وقهر . يقال: جبار بين الجبروة، والجبرية والجبروت. المرجع نفسه ١/ ٢٣٦ مادة جبر. وفي العلوم السياسية يطلق عليه النظام الدكتاتوري والأوتوقراطي .

(٨١) سبق تخريج ص ١٠ من هذا البحث

(٨٢) أنظر مزيد بيان لهذا الحديث ص ١٠ من هذا البحث وما بعدها .

(٨٣) رواه الإمـــام أحمد في مسنده ٣١٦/٦ . وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير - تحقيق : حمدي بن عبد المجيد الســلفي - مكتبة العلوم والحكم - الموصل - ط ٢ - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م -٣٩٠/٢٣ . ومعجمه الأوسط - المعجم الأوسط - تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسـين - دار الحرميـن - القاهرة - ١٤١٥هـ - ٣٥/٢ . و ابن حبان في صحيحه ١٥٨/١٥. وأبـي يعلى في مسنده - تحقيق : حسين سليم أسد - دار المأمون للتراث - دمشق - ط ١ - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م - ٣٦٩/١٢

(٨٤) انظر : رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر - محمد قطب - ص ٢٢٧

(٨٥) انظــر : الإسلام ومستقبل البشرية - د. عبد الله عزام - ص ٦٨ . و المبشرات بانتصار الإسلام - د يوسف القرضاوي - ص ٧٧

(٨٦) المصدر السابق - ص ٦٨ - ٧٠ .

(٨٧) انظر: المبشرات بانتصار الإسلام- د. يوسف القرضاوي- المكتب الإسلامي- بيروت- ط٣- ١٤١٨ه- ١٩٩٨م- ص ٧٧.

(٨٨) المصدر السابق - ص ٧٨ .

(٨٩) انظر : الإسلام ومستقبل البشرية - د. عبد الله عزام - ص ٦٨ - ٧٠ .

(٩٠) انظر : رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر- محمد قطب- دار الوطن للنشر- الرياض- ط١- ١٤١١ ه- ١٩٩١م- ص٢٠٧.

(٩١) انظر: المبشرات بانتصار الإسلام- د. يوسف القرضاوي- ص ٧٦ .

(٩٢) الموســوعة الإسلامية في الذاهب والأديان المعاصرة - دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - ٩٢٩/٢.

(٩٣) المصدر السابق - ص ٩٣٢- ٩٣٣

(٩٤) انظر: المبشرات بانتصار الإسلام- د. يوسف القرضاوي- ص ١٣٨.

(٩٥) الإسلام ومستقبل البشرية- د. عبد الله عزام- مكتبة الصدقات الإسلامية- القدس- ص ٣٢- ٣٣

(٩٦) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر- محمد قطب- ص ٢٠٣

(٩٧) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر- محمد قطب -ص٢٤٣- ٢٤٤.

(٩٨) للتوســع في هذا الموضوع راجع كتاب " حاضر العالم الإسلامي والغزو الفكري " - د. صالح الرقب - ط١- ص٢٧٠- ٢٧٨.

(٩٩) المصر السابق- ص٢٧٠- ٢٧٤.

(١٠٠) انظر: حاضر العالم الإسلامي والغزو الفكري- د. صالح الرقب- ص٢٧٧-٢٧٧.

(١٠١) الموسوعة الإسلامية في الذاهب والأديان المعاصرة - ٢ / ٩٣٣ .

(١٠٢) انظر: مقومات النصر في القرآن والسنة- د أحمد أبو الشباب- ١/ ٢٨٩- ٢٩٠

(١٠٣) انظر: الإسلام ومستقبل البشرية- د عبد الله عزام- ص ١٧.

(١٠٤) معالم في الطريق – سيد قطب – دار الشروق – ص ٣ .
(١٠٥) مقومـــات النصـــر فـــي القرآن والسنة- د. أحمد أبو الشباب- ١/ ٢٩٠ نقلاً عن كتاب الحجاب لأبي الأعلى المودودي – ص ٣٢.
(١٠٦) المصدر السابق – ١/ ٢٩٠ – ٢٩١ .
(١٠٧) المستقبل لهذا الدين- سيد قطب- دار الشروق- بيروت- القاهرة- ١٤٠١ه- ١٩٨١م- ص٤٧.
(١٠٨) انظر: الإسلام ومستقبل البشرية- د. عبد الله عزام- ص ١٦.
(١٠٩) المصدر السابق – ص١٣ .
(١١٠) انظر : رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر – محمد قطب – ص ٢١٢ .
(١١١) الإسلام ومستقبل البشرية- د. عبد الله عزام- ص ٤٦ – ٤٧ .
(١١٢) المصدر السابق – ص ٤٧ .
(١١٣) المصدر السابق – ص٣٤ – ٣٥ .
(١١٤) المصدر السابق – ص ٣١- ٣٤ .
(١١٥) انظر : رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر – محمد قطب – ص ٢١١ .
(١١٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- عبد الرحمن ناصر السعدي –طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض – السعودية ١٤٠٤هـ – ١/٤١٠.
(١١٧) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر- محمد قطب- ص ١١١ – ١١٣ .